
KALEMAT
الذين أحببناهم.. ولم
شهرزاد

الذين أحببناهم .. ولم!

نصوص

شهرزاد

٢٠١٥

الإهداء

إلى عمي سالم

الذي لم يمهله الموت أن يلوح لنا بيده ويقول : وداعاً

هنا . . قد تجد بعض الذين أحببتهم ولم يشعروا بك
أو أولئك الذين أحبوك ولم تشعر بهم
فالأحاسيس البيضاء لا تتوافق في التوقيت دائما!

أغلفةُ الحكايات

(اسألوا نساءَ الأرض عن ألمِ تغييرِ الحكاياتِ
وأبطالِ الحكايات وطقوس الحكايات)

عندما تتغير ملامحُ حكاياتنا
نضطر لتغييرِ ملامحِ أحلامِنا
والعبثِ في أدقّ تفاصيلها التي تعاملنا معها على أنها نحتٌ لن
يزولَ ولن يتغير!
لكن النحتَ حين تملأه رمالُ الخذلانِ يتغير ويبهت ويزول!

فـ للحكاياتِ أغلفةٌ كأغلفةِ الحكاياتِ الورقيةِ تماماً
ولكلّ حكايةِ أحلامُ غلافٍ يختلف عن غلافِ حكاياتِ
الأحلام الأخرى
فغلافُ حكايةِ الأحلامِ يحتوي على صورِ أبطالِ الحكاية
وأسمائهم ونبذةٍ مختصرة عن تفاصيلهم وأحداثِهم
ومناسباتِهم!

وعندما تتغير الحكايات يتغير الأبطال فتتغير صور وألوان وأخبار الأغلفة

وتغييرُ الحكاياتِ والأبطالِ والأغلفة يعني إعادةَ برمجتِنا . .

يعني تغييرَ أرقام وحروفِ وأوقاتِ برمجتِنا لأنفسِنا عليها فترةً طويلة

وتأهيلَنا لتقبلِ جديدٍ لم يكن في قائمة خططِنا يوماً .

يعني تغييرَ الأبواب التي تفننا في حججِ المرورِ عليها

ورسمِ جغرافيا جديدة لقلوبنا وطرقٍ جديدةٍ لأقدامِنا .

يعني تغييرَ الأماكنِ التي تهالَكنا يوماً من أجلِ البقاءِ فيها

واستبدالَها بمواقعَ أخرى وتجنبَ المرورِ عليها تجنباً للكثير

يعني تغييرَ الأرقامِ في أجنداتِ هواتفِنا

ومسحَ أرقامٍ كانت فرحةُ رؤيةِ إضاءتِها على شاشاتِ هواتفِنا لا توصف .

يعني تغييرَ المحفوظاتِ ، يعني مسحَ مسجاتٍ وإخفاءَ مسجات
يعني تغييرَ أجندةِ الأسماءِ ، يعني منحَ ألقابٍ وسلبَ ألقاب .
يعني تغييرَ أسماءِ الأطفالِ في الحكايةِ ، يعني أمّ فلان تصبح
أمُّ فلانٍ آخرَ!

يعني تغييرَ تواريخِ المناسباتِ الخاصة
فنمنح الأهميةَ لتواريخَ كانت تمرّنا عابرةً باهتة
ونسلب الأهميةَ من تواريخَ كنا ننتظرها بلهفةٍ ونزين سويعاتها
بذكرى ظنناها تدوم أبداً
فيصبح الخاصُّ عاماً ويصبحُ العامُّ خاصاً!

يعني تغييرَ الأذواقِ للتأقلمِ مع شخصياتٍ جديدة فنكره ما كنا
نحب ونحبُّ ما كنا نكره!
يعني تغـييرَ الوجـوهِ عند الحنينِ والإبحارِ بوجوهٍ جديدةٍ عند
الخيال!

يعني تغييرَ الحرفِ في الإسوارةِ والخاتمِ والسلسال!
يعني تغييرَ الرمزِ في علّاقةِ المفاتيح وتغييرَ الصورةِ في البرواز!

يعني تغييرَ عناوين الرسائل المرسلة واستقبال واردٍ لا يمتّ
للرسائل في صناديقنا الخاصة بصلة!
يعني تغييرَ مصطلحاتِنا الخاصة وتعويدَ ألسنتِنا على أسماءٍ
جديدة وألفاظٍ جديدة وعباراتٍ جديدة ،

يعني تغييرَ انتماءاتِنا العاطفي وأوراقنا العاطفية ،
يعني الصحوةَ بعد موتٍ والموتَ بعد صحوة!

إن الانتقالَ من حكايةٍ لحكاية
يعني فَرمَتتنا!
يعني مسخَنا داخلياً!
يعني إلقاءَ جزءٍ كبيرٍ منا في سلةِ المحذوفات
وتكرارَ الحذفِ بعد الحذفِ بعد الحذف!

الأماكن

(ظننتُ يوماً أن في كلّ الأماكنِ هُم)

أماكنُ تمرّ بها فتشم بها رائحةَ ماضيك
وكأنها تعيد الزمنَ إليك بطقوسِه ،
بسويعاتِه ، بذكرياته ،
بأناسٍ قاسموك يوماً كلَّ شيءٍ حتى أنفاسَك .

وأماكنُ تمرّ بها
فترى بها ملامحَ طفولتِك وتلمح بها رفاقَك الذين كبروا
وتنقبُ عن آثارِ براءتِك عليها وتتبعُ خطواتِ شقاوتِك على أرضِها
وتبتسم ببراءةٍ وتردّد : ليتنا لم نكبر .

وأماكنُ تمرّ بها
فتفتح لك دفاترَك المغلقةَ لتستعرضَ أمامَك صفحاتِك القديمة

وتعيد إليك ما ألقيتَ به في خزانةِ الذاكرةِ متعمداً
وتمنيتَ مع زحمةِ الأيامِ أن تنساه
فتعلقتَ بطوقِ النسيان في بحرِ الحياةِ كالغريق ولم تنساه .

وأماكنُ تمرّ بها ،
فتكشف لك جرحَك المستور
وتعرّي أمامَك جسدَ الذكرى المغطى برداءِ النسيان
وتأتي إليك بأرواح لوّحتَ لها يوماً مودّعاً
ولوّحَت لك باكيةً وانكسارُ النصيبِ ثالثكما .

وأماكنُ تمرّ بها
فتطفئ نورَ صفحاتِك البيضاء التي تفننتَ في زخرفتِها وتنقيتِها

وتستعرض أمامَك صفحاتٍ سوداء تفنّنتَ في الهروبِ منها
وحاولتَ جاهداً مسحها من ذاكرةِ تاريخِك
متناسياً أن ذاكرةَ الأماكنِ لا تُنسى أبداً .

وأماكنُ تمرّ بها

فتناديك طرقاتُها ليخيّل إليك أنك تسمع أصواتَ أصحابِها

الذين كانوا ،

وتلتفت حولَك وخلفك مرتعباً

فلا تلمح سوى بقايا تنبض بروحِ الأمس

وكأنهم ما كانوا .

وأماكنُ تمرّ بها

فتتمنى أن يعودَ الزمانُ عليها دقائقَ لتعودَ كلُّ تفاصيلها

وطقوسِها

لِتقتنصَ منها لحظةَ فرح

فمنذ أن غادرْتَها غادرَكَ الفرحُ

وغادرَتك معها أشياءُ أخرى كثيرة .

وأماكنُ تمرّ بها

فتتمنى أن تختفيَ من فوقِ الأرض

وأن يتمَّ مسحُ تضاريسِها تماماً ،

فعليها فقدْتَ الكثيرَ من نفسِك

وعليها نحرْتَ الكثيرَ من قيمِك
وعليها كانت البشاعةُ عنواناً لإنسانيتِك
وعليها كنتَ أنت ليس أنت .

وأماكنُ تمرّ بها
فتغمض عينيك أمامَها ألماً
فهذه الأماكنُ كانت يوماً تعني لك الكثير
لأنها احتوت أحلامَك في مهدِها كالأم ،
وربّتت على حزنِ أيامِك كالوطنِ ، وسترت مشاعرَك
ومنحتك الفرحَ والأمانَ بلا حدود .

وأماكنُ تمرّ بها
فتشعر بالغصّةِ تتسلل إلى أعماقك
وتشعر بالمرارةِ تستقرُّ في فمِك ،
فهنا أحببتَ يوماً
وهنا كان لقاؤك الأول يوماً
وهنا كان وداعُك الأولَ يوماً
وهنا كان انكسارُك الأولَ يوماً .

وأماكنُ تمرّ بها

فينحرُك المرورُ بها نحراً

فهنا كنتَ أجمل

وهنا كنتَ أصغر

وهنا كنتَ أنقى

وهنا كنتَ أصدق

وهنا كنتَ أطهر

فتعود منها محمّلاً بكلّ الأشياءِ إلا نفسَك .

البيتُ العتيق

(عند مغادرةِ البيوت العتيقة نأخذ معنا كلّ الأشياءِ إلا الأمكنةَ فحقائبنا لا تتسعُ للجدران ولا للأمكنة)

اليوم وأنا أحزم حقائبي لمغادرةِ البيتِ القديم كان ضجيجٌ ما يعلو في داخلي

فاختلطت بي وجوهُ وأصواتُ كلّ الذين كانوا يوماً هنا ورحلوا . .

وكأن السنواتِ كلّها استيقظت بي لتودعني

فللسنواتِ صوتٌ كلّما مرَّ العمرُ بنا ازداد قوة ،

فهل سمع أحدُكم يوماً نبرةَ صوتِ السنواتِ وهي تناديه؟ .

وهل نادت عليكم البيوتُ العتيقة يوماً وأنتم تديرون لها ظهورَكم مودعين؟

هل سمعتم صوتَ بكائِها؟ ولمحتم الجدرانَ تلوّح لكم مودّعة؟

هل خيّل إليكم أنّ روحاً ما تُبثُ في الجمادِ فينظر إليكم بحزنٍ مودعاً؟

فبعض الأمكنةِ تتحول عند الرحيلِ إلى أبٍ وأم وأخوة ،

وبعض الأمكنةِ تتحول عند الرحيلِ إلى طفلٍ مدللٍ يتشبث بثوبك وقدميك وقلبك

فتصبح خطوةُ المغادرةِ أثقلَ من جبل ،

وكيف لا تستيقظ بنا السنواتُ عند الرحيلِ لتودّعنا؟

كيف لا تبكي لفراقنا الجدران؟

وفي الجدرانِ خبأنا العمرَ كلّه إلا قليلاً!

فنحن حين نغادر القديمَ لا نغادر مجموعةً من الطوبِ صفّت بيدِ بنّاءٍ محترف

ولا نغادر أحواضاً من الرملِ سرقت شمسُ الزمنِ صفرتَها

ولا نغادر مجموعةً من الأشجارِ المسنّةِ التي طالت حتى شاخت

فنحن حين نغادر البيوتَ العتيقة لا نغادر جزءاً من مكان

نحن نغادر جزءاً من عمر ،

فجدرانُ البيتِ العتيقِ ككتابِ العمر

وحين نرحل نترك الكتابَ مفتوحاً بلا أغلفة
ونترك بين طيّاتِ الكتابِ من التفاصيلِ الكثير .

وهنا سأترك طفلةً بضفائرِها
طفلةً كانت تتسمّى باسمي وتشبهني كثيراً
إلا أنه لم يكن للحزن بها وطن ،
هنا سأترك لعبتي التي دفنتها في الرملِ منذ سنوات
خشيةَ أن تهديها والدتي ذاتَ عقابٍ لابنةِ الجيران
هنا سأترك بيوتَ الرملِ التي لم تكن مجردَ ماءٍ ولا طين
بل كانت نماذجَ مصغرةً لأحلامي .
فمن الطين صنعتُ منزلي
ومن الطين صنعت فارسي
ومن الطين صنعت أطفالي
ومن الطين صنعتُ بخيالِ الطفلةِ كلَّ أبطالِ حكاياتِ جدتي
صنعت عروسةً بحذاءٍ واحدٍ وأطلقت عليها سندريلا
وصنعت عروسةً بالثوبِ الأحمرِ وأسميتُها ليلى
وصنعتُ عروسةً يحيط بها أقزامُها السبعةُ وناديتها بيضاءَ الثلج!

وسهرت ليالي طويلةً كي أصنعَ حصانَ المُتنبي

وخلطتُ الترابَ بالفحمِ كي أصنعَ عنترة

وصنعت تمثالاً هزيلَ الجسدِ وقلتُ هذا مجنونُها العاشق

وأصبح لديَّ مدينةٌ كاملةٌ من الطين ،

فتماثيلُ الطين كانت هي أحلامي المؤجلةُ للغد

أحلامي التي قالت لي جدتي عنها أنها يوماً ما ستطرق بابي

وأنني يوماً ما سألتقيها على طرقاتِ العمر

وأنني يوماً ما سأعيشها خارجَ أسوارِ حكاياتِ ما قبل النوم

وجاء الغدُ ولم تكن أحلامي في سلّتِه

ولا في يديه ولا في جيبه ولا في حقيبتِه ،

ترى؟ هل اعترضَ ذئبُ الطريقِ طريقَ الغدِ فنهشَ أحلامي

بوحشية؟

لهذا وصلتني معظمُ الأحلامِ حين وصلت مشوهةَ الملامحِ

ناقصةَ الأعضاءِ والأجزاء .

وحين كبرت قليلاً وربما كثيراً

غادرت أحواضَ الرملِ إلى زوايا البيت

فلكلِّ زاويةٍ في البيتِ العتيق في قلبي حكايةٌ

فبين الزوايا تنام أحاديثُ مراهقتي

وهمساتُ أسرارٍ خجلى سكبتها ذاتَ اعترافٍ أبيضَ في أذنِ رفيقاتِ المدرسة

ولم أكن أعلم أن آذانَ رفيقاتي مثقوبة ،،

وان آذانَ الجدرانِ أوسعُ للسرِّ من قلوبِ رفيقاتي .

وفي زوايا البيتِ القديمةِ خبأت كنوزاً من تفاصيلِ العمر

خبأتُ تركةً لا تورّث ..

فبين الزوايا تتمدّد أيامي ويلتحف كالنائمِ عمري

ولكلّ زاويةٍ ذكرى وحكاية ،

فزوايا رقصتُ بها فرحاً وأخرى رقصت بها ألماً

وزوايا ضحكت بها وزوايا سهرت بها وزوايا انتظرتُ بها

وزوايا رسمتُ بها وزوايا كتبتُ بها وزوايا بكيت بها

وزوايا احتضرتُ بها وزوايا متُّ بها وزوايا كبرت بها ،

فهل جرّب أحدُكم يوماً أن يكبرَ بين الزوايا

وهل جرّب أحدُكم يوماً أن يغادرَ الزوايا التي كبر بها؟

ما أصعبَ توديعَ الأمكنة ،

فالأمكنةُ تمرضُ خلفَ أصحابِها وربما تموت

لهذا يخفتُ النورُ بها بعد رحيلهم كثيراً

وتبدو المنازلُ المهجورةُ كالمرأةِ المسنَّة

بيضاءَ الشعر مَحنيةَ الظهر شاحبةَ الوجه

فالأمكنةُ تبكي ولكن لا يسمع بكاءَ الأمكنةِ إلا إنسانٌ سترت الأمكنةُ بكاءَ قلبِه يوماً

ولا يشعر بوهنِ الأمكنةِ عند الفراق إلا إنسانٌ سندته عند وهنِه جدرانُها .

فإن قررتم يوماً مغادرةَ البيوتِ العتيقة فلا تؤذوا مشاعرَها

واستتروا من الزوايا وأنتم ترتبون حقائبكم

استتروا من الجدرانِ وأنتم تجمعون آخرَ البقايا

استتروا من الأبوابِ وأنتم تتجهون نحو بابِ الخروج

لأن للبيوتِ أعينٌ وقلوب .

شادي

(كلّنا كبرنا يا فيروز إلا شادي)

في حياةِ كلٍّ منا هناك شادي
رفيقُ طفولةٍ مهذب يقبع في الذاكرة
يجلس بهدوء
تمرُّ الأيامُ عليه وتتغير حولَه في الذاكرة الوجوهُ
ويكبر الرفاقُ وتنحني القاماتُ
وشادي لا يكبر أبداً .

فشادي الطفولة
لا يشبه رفاقَ العمر الذين نكبر معهم
ولا يمتّ لمراحلَ ما بعد طفولتِنا بِصلة
فهو يظهر في الطفولةِ كالحلم
ويختفي في الطفولةِ أيضاً كالحلم
وتبقى تفاصيلُه عالقةً بذاكرتنا

كحلمٍ أخضرَ لا يذبل أبداً

فهو لاْ يغادر أسوارَ الطفولةِ أبداً

ولا تزدادُ قامتُه طولاً

ولا ترتسم ملامحُ البلوغِ على وجهِه

ولا يغزو الشعرُ الأبيض رأسَه

ويحتفظ بألعابِه الطفوليةِ للأبد .

ولا أعلم لماذا كلّما كبرنا

كلّما ازدَدنا قرباً من شادي الطفولة

وكلّما وَهنَت الذاكرةُ بنا

كلّما ازدادَت ملامحُ شادي وضوحاً في ذاكرتنا

ربما هي لعبةُ الأيامِ والعمر معنا

فكلما شعرنا باقترابنا من نقطةِ النهاية

كلما بحثنا عن نقطةِ البدايةِ بنهَمٍ ورعب ،

فبيننا وبين أنفسنا نحاول أحياناً

تحدّي زحفَ السنواتِ علينا

فنفرُّ إلى عهدِ شادي الصغير

نسترجع ملامحَ أيامِه معنا
نشاركه شقاوةَ الطفولة
فشادي الطفولةُ لديه قدرةٌ على اللعبِ معنا في أي مرحلةٍ من مراحلِ العمر
ربما هو الرفيقُ الوحيدُ الذي لا يغلق أبوابَ طفولتنا في وجهِنا أبداً ،

وأجملُ ما في شادي
أننا لا نلتقي به أبداً
لهذا يبقى هو الرفيقُ الوحيدُ الذي لا ترعبنا صدفةُ رؤيتِه
لأنه لا يحتفظ بمرآةٍ تُظهر ملامحَ عمرنا أمامَنا
فشادي لا يقدم لنا تفصيلاً مرعباً عما مرَّ من سنواتٍ وعما مضى من عمر .

وفي طفولتي كان هناك شادي
لم ألعب معه فوق تلالِ الثلج
فلا ثلجَ في مدينتي
ولم يذهب ضحيةً لحروبٍ أهلية

فلا حروبَ في مدينتي

ولم أنادِ عليه لأسألَه (وينك رايح يا شادي)

فلم يخطر في بالي أن ذهابَه ذلك سيكون بلا عودة

ولم أنتظر عودتَه في الشتاء

لكنني ما زلت أحتفظ بملامحِه في ذاكرتي

ما زلت أتذكر اسمَه الأولَ فقط

ما زلت أزداد من ملامحِه قرباً كلّما ازدادَت ذاكرتي وَهناً

وما زلت أركض معه في طرقاتِ المدينةِ حافيةَ القدمين

كلما غنت فيروز:

(من زمان أنا وصغيرة كان في صبي يجي من الحراج العب أنا وياه

كان اسمه شادي

انا وشادي غنينا سوا

لعبنا عالتلج ركضنا بالهوا

كتبنا على الاحجار

قصص الصغار ولوحنا للهوا) .

افتح يا سمسم

(افتح يا سمسم أبوابَك .. جئتك اليوم
وحدي .. لا أحدَ ولا شيءَ معي
فرفاقي يا سمسم غدروا بي في منتصفِ
الطريقِ .. وسرقوا حتى خُفَيَّ حنينٍ مني)

افتح يا سمسم أبوابَك جئتك اليوم وحدي
أبحث عن طفلةٍ كانت تشبهني
كان وجهُها وجهي وصوتُها صوتي
كان اسمُها اسمي وقلبُها قلبي
لكن روحَها ما عادت روحي
ولا ضحكتها يا سمسم تشبه الآن ضحكتي
فهل رأيتَها؟
هل مرّتك يا سمسم طفولتي؟ .

افتح يا سمسم أبوابَك جئتك اليومَ وحدي
أبحث عن رفاقي الصغار
الذين وقفوا أمامَك يوماً معي
وردّدوا : افتح يا سمسم أبوابَك نحن الأطفال
فأين هم يا سمسم الآن؟
هل تسرّبوا ذاتَ شغبٍ إليك
وعبثوا بأموالِ علي بابا والأربعين حرامي
فغابت عليهم الشمسُ وهم في داخلِك
وحين همّوا بالخروجِ منك خَذلتهم كلمةُ السرّ؟

افتح يا سمسم أبوابَك
فأنا جئتك اليومَ وحدي
لا أبحث بك عن بريقِ الماس
ولا بياضِ اللؤلؤ
لن أمدَّ يدي إلى أحجارِك الكريمة
ولن أملأ جيوبي بدنانيرِ الذهب
فالذهبُ لا يعيد يا سمسم ما ذهب
الذهبُ لا يعيد يا سمسم ما ذهب .

افتح يا سمسم أبوابَك

جئتك اليوم وحدي

فدَعني أتجول بين كنوزِك

دعني أبحث بين الرفوفِ عن مجلةِ ماجد

وصديقِ طفولتي كسلان جداً

وفضوليّ المختبئِ مني بين الصفحات

والمثقفةُ شمسة

والسّمراءُ دانة

والعجوزُ سلمى

دعني أسترجع نقاءَ الأصدقاء

وفرحةَ اللقاءِ بهم يومَ الأربعاء .

افتح يا سمسم أبوابَك

ودعني أبحث بين كنوزِك

عن صديقتي لولو الصغيرة

وصديقها نُفَيخة

هل كبرت لولو يا سمسم؟

هل أصبح نفيخة شاباً رشيقاً؟

هل تحابا وافترقا؟

هل غيّر الحزنُ ملامحَهما

أم أن يدَ الزمنِ يا سمسم لا تعبث بأصدقاءِ الورقِ مهما كبروا .

افتح يا سمسم أبوابَك

ودعني أبحث بين كنوزِك

عن المغامرين الخمسة

نوسَة ولوزَة ومحب وعاطف وتَخْتَخ

وكلبِهم الوفي زنجر

فما عادت كلابُنا يا سمسم وفية .

افتح يا سمسم أبوابَك

وأسترني بين جدرانك

وانساني يا سمسم بين الجدران

دعني أبحث تحت أنقاضِ العراق

عن سندباد القادمِ من بغداد

وعصفورتِه المسحورةِ ياسمينة

وصديقِه البائسِ حسن

والشقيّ علي بابا
والمسنّ علاءُ الدين
وصحبةٍ كبروا يوماً معي
حتى ظننتهم يا سمسم إخوتي .

افتح يا سمسم أبوابَك
جئتك اليوم تَعبة
فهدهدني بين جدرانك
ودعني أغفو فوق جناحِ النسرِ الذهبي
وأغمض عينيّ على ذكرى بيرو
وأبتسم في منامي لأستكو
أحببت أستكو يوماً يا سمسم
وظننت أني حين أكبر سأتزوجُه
وحين كبرت أدركت أن بعض الحكاياتِ غيرُ قابلةٍ لخاتمةِ الزواج
وأن بعض الزواجِ خاتمٌ لكلّ الأشياء .

افتح يا سمسم أبوابَك
ودعني أتنقّل فوق أشجارِك

كصديقتي النحلة زينة

ودعني أعاني كما عانت

من غباءِ صديقها نَحَول

دعني أُحدّق في وجوهِ النحلِ معها

دعني أبحث عن وجهِ أُمِها

دعني أصدق أن لسعةَ النحل لا تؤلم

وأن الأصدقاءَ حين يقتربون لا يلسعون .

افتح يا سمسم أبوابَك

خبئني بين جدرانِك

ودعني أرتدي ملابسَ سالي

وأحمل لعبتَها البائسة بين يديّ

وأنتظر أبي يعود بمنجمِ الذهبِ إليّ

وأحتمل قسوةَ المعلمةِ باسمِ التعليم

وأبرّر باسمِ التربيةِ ظلمَ المربية

وأصدقُهم بأن التربيةَ ما زالت تسبق التعليم ،

آه يا سمسم كم أبكت سالي طفولتي لو يعلمون .

افتح يا سمسم أبوابَك

أجلسني في ركنٍ قَصيٍّ من أركانِك

مشط بالفرشاةِ شعري

أعدْ لي ولو وهماً شيئاً من عهد جدي

وقلبِ جدي

وهيبةِ جدي

وحنانِ جدي

واتكئ بيمناي على حجر جدي

وأنا أتابع بشغفٍ الخمسةَ عشرَ رجلاً

الذين ماتوا من أجل صندوق

ما أكثر الذين يموتون الآن من أجل صندوق .

افتح يا سمسم أبوابَك

خبئ ارتعاشاتِ حنيني بين جدرانِك

أعد لي طقوسَ ليلةِ العيد

والمراجيحَ والألعابَ النارية

وحقيبتي الحمراءَ الصغيرة

ذاتِ اللمعانِ وصوتَ النقودِ المعدنية

وعيديةَ الدراهم
ورصُّ الدرهمِ فوق الدرهم
وفرحةَ العيدية .

افتح يا سمسم أبوابَك
وغضُّ بصرَك عني وانساني بين طينِك وأحجارِك
غطِّني يا سمسم بردائك
دعني أنقِّب تحت أنقاضِ عمري وأنقاضِك
دعني أبحث عن رفاقي
الذين كانوا يوماً شعبَك وسكانَك
نعمانٌ وملسون وبدر وأنيس والوحش كعكي
وأدندن معهم ولهم :
(افتح يا سمسم أبوابَك نحن الأطفال
افتح واستقبل أطفالَك نحن الأطفال) .
كبرنا يا سمسم وما عدنا أطفالاً
ولا عُدنا يا سمسم أحبابَ

افتح يا سمسم أبوابَك

ثبّتْ لي بين الحيطانِ تلفازَك

دعني أعبث بقنواتِك وأزرارِك

دعني أغفو على وسادةِ الزمن

وأتابع بحنينٍ باهتٍ الملامحَ

(إلى أبي وأمي مع التحية)

وأردد معهم بروحِ طفلةٍ :

(يا أبونا وأمنا

يا سند بيت الهنا

إحنا ما ننسى فضلَكم

حتى آخِر عمرنا)

فهل أمسينا يا سمسم الآن بآخر عمرِنا؟ .

افتح يا سمسم

جئتك اليوم وحدي

فالرفاقُ يا سمسم ليسوا معي

تشتّتوا يا سمسم رفاقي

فآخرُ عهدي بهم

يغسلون ترابَ أقدامِهم
ويمسحون حروفَ الفحمِ من فوق جدرانِ المنازل
ويغادرون الحيَّ القديم ،
فرفاقي يا سمسم صعدوا سفينةَ الأيامِ منذ سنوات
ولوّحوا لي مودعين
وقالوا أنهم يوماً ما سيعودون ولم يعودوا ولن يعودوا .

البديل

(البديل هو روحٌ تُستخدم لنسيانِ روحٍ أخرى ،
فهل تذوّق أحدُكم هذا الألمَ يوماً؟)

معظمُنا وعندَ أولِ إفاقةٍ من جرحٍ ما أو صدمةٍ ما أو ذهولٍ ما
نسعى للبحث لا شعورياً عن البديل ،
يدفعنا إلى ذلك حالةُ فَقدٍ مؤلمةٍ وما يترتب عليها من تخبطٍ
وفراغٍ وحنين
وحاجةٍ ماسّةٍ للشعورِ بالأمان .

فعندما يشتدّ بنا الألمُ نسعى للبديل ،
وعندما يتضخم بنا الفراغُ نسعى للبديل ،
وعندما نفشل في النسيانِ نسعى للبديل ،
وعندما ننزف غدراً منهم نسعى للبديل ،
وعندما نرغب في الانتقامِ نسعى للبديل ،
وعندما يتعمق بنا الجرحُ نسعى للبديل ،

وعندما ينال منا الخوفُ نسعى للبديل .
وفي أغلبِ الأحيانِ وربما دائماً هناك بديلٌ
تضعه الظروفُ في طريقِنا فينزل على لحظاتِ فَقدِنا كالغيثِ المنتظر
ويخيّل إلينا أنه القادمُ من عالمِ الرحمةِ لا ينقصه سوى عصا سحرية
يمرّرها على ذاكرتنا فتتجدد خلاياها المنهكةُ من ذكرياتٍ مسمومة .

ومع البديلِ تتعدد شخصياتُنا ،
فقد نبدأ بالشخصيةِ الجريحةِ فنثرثر بتفاصيل الحكايةِ القديمةِ كثيراً
نلقي عليه ما يطيق وما لا يطيق من تفاصيلَ سابقة
لأننا نحن في الأغلبِ لا نهتم بإحساسِ البديلِ كثيراً
ولا نتساءل عن مصيرهِ أثناءَ رفقتِه لنا في رحلةِ الشفاءِ من حكايةٍ هالكة
وقد نكون أكثرَ خبثاً!
فنظهر أمامَ البديلِ بصورةٍ مغايرةٍ لحقيقتنا ونخفي أمامَه كلَّ أثرٍ للجرح السابق

نتفنّن في الانغماس معه في حكايةٍ جديدةٍ ونبالغ معه في المشاعر والأحلام

ننجرف نحوه كالتيار الخفيفِ حتى يخيّل إلينا أننا في سكرةٍ عميقة

لا نودّ الاستيقاظَ منها أبداً!

وليس دائماً البديلُ آخر من يعلم فأحياناً يعلم .

لكنه يغمض عينيه ويسدّ أذنيه ويستمر ،

فالبعضُ يمارس دورَ البديلِ بكامل إرادتِه وبكاملِ طيبته وانسانيتِه ورغبتِه وربما خبثِه

فالبديلُ لا يفقد الأملَ أبداً في أنه ذاتَ يومٍ قد ينال دورَ البطولةِ المطلقة في حكايةِ جرحٍ بدأها كبديل!

وللبديلِ أسبابُه أيضاً

فالبعضُ يجد غايتَه في حكايةٍ جاءت له بأنثى تمناها دائماً

وما كانت ستكون الأنثى ولا الحكايةُ له لولا فشلُ طرفٍ آخَر بها

والبعضُ اعتاد الاصطيادَ في المياهِ العكرةِ لينتهزَ الفرصةَ تلو الفرصة

والبعضُ يبدأها كمغامرةٍ لذيذةٍ لن تفقدَه عند الانتهاءِ منها شيئاً!

والنهاياتُ لا تشبه البداياتِ دائماً

فقد تنقلب الكذبةُ إلى حقيقةٍ والخيالُ إلى واقع وتتحوّلُ حكايةُ البديلِ مع الوقتِ إلى جرحٍ آخَر!

وانكسارٍ آخَر وهزيمةٍ أُخرى تضاف إلى هزائمِ القلبِ المذهول!

ففي حكاياتِ البديلِ ليس بالضرورةِ أن يكون البديلُ هو الضحيةُ دائماً

ونحن أطهرُ من أن يرتدينا البعضُ كحذاءٍ في طريقه لنسيانٍ ما!

الرجلُ الوطن

(الموتُ الحقيقيّ هو أن أعلمَ أنك نصفي الآخَر الذي لا أعيش إلا به وأن تعلمَ أني نصفُك الآخَر الذي لا تكتمل إلا به ، ثم نفترق ويمضي كلٌّ منا في طريقه)

قد تتكرر حالاتُ الحبِ في حياةِ المرأة
وقد تحب أكثرَ من رجل
وتحلم بأكثرَ من رجل
لكن وبالرغم من صدقِها في كلّ الحالات
يبقى هناك رجلٌ واحد يختبئ في الأعماق
وتتمسك به ذاكرةُ القلبِ بشدة
وذلك هو الرجلُ الوطن .

والرجلُ الوطن
هو نقطةُ الضعفِ في حياةِ المرأة

لأنه يسري سريانَ الدمِ في الجسد
ولا ينال الزمنُ من عرشِه في القلب
ولا يتذوقه النسيانُ أبداً
وتبوءُ كلَّ محاولاتِ نسيانه بالفشل
فهو رجلٌ لا يموت في الذاكرةِ أبداً .

الرجلُ الوطن
هو ذلك الإحساسُ الصادق
الذي تضخمنا به ذاتَ يوم
وذلك الحلمُ الجميل
الذي أدخلنا في حالةٍ من النشوةِ والفرح
وهو حكايةُ العمر الذي عشنا تفاصيلَها بكلِّ جوارحِنا
والتي احتسينا مرارتَها حين انتهت وعانينا بعدَها ما عانينا .

وحين تفقد المرأةُ الرجلَ الوطن
تدخل في حالةٍ من الذهول
وحالةٍ من الضياع
وحالةٍ من الألمِ

وحالة من الغربةِ الداخلية
ولا يدركُ عمقَها إلا هي .

فحين يرحل الرجلُ الوطن
تبقى الفراغاتُ خلفه باتساعٍ مخيف
لا يملأه كلُّ رجالِ الأرض
وقد تتخبّط المرأةُ كالمذبوحة
في محاولاتٍ فاشلةٍ لملء الفراغِ خلفه
فتعيش أكثرَ من حكايةِ حبٍ
لكنها تعود إلى نفسها بعد كلِّ محاولةٍ فاشلة
فتتذكره وتبكي خلفه بكاءَ الأطفال .

وللرجلِ الوطنِ فقط
تشُدّ المرأةُ رحالَ خيالها
في لحظاتِ الحنين
ولحظاتِ الحزن
ولحظاتِ اليأس
ولحظاتِ الانكسار

لأنه يمثل بالنسبةِ إليها ذلك الوطن
الذي غادرته مرغمةً
لكن أشواقها تأخذها دائماً إليه .

ولإحساسِها الصادِق بأنه وطنٌ فإن ابتعادَها عنه
تحت أيِّ ظرفٍ من الظروف
يُدخلها في حالةٍ من العزلةِ والانطواءِ
والشعورِ بالانفصال عن كلِّ الأشياءِ المحيطةِ بها
وتبقى في حالةِ بحثٍ دائمةٍ عنه
لأن في أعماقِها شيءٌ ما يناديه بانكسار .

قلوبُ خضراء

(القلوبُ الخضراءُ كوريقاتِ الأشجار تتساقط بسهولةٍ إذا ما هبت عليها رياحُ الواقعِ بشدة)

أصحابُ القلوبِ الخضراء
قلوبُهم بلونِ الأشجار
أحلامُهم بنقاءِ الماء
وخيالُهم باتساعِ السماء
لديهم القدرةُ على التسامحِ بلا حدود
ويتمتعون بقدرةِ الاغتسالِ بماء الأماني
وقدرةِ الحلمِ والانغماسِ فيه إلى آخرِ قطراتِه .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
لا ينتظرون خنجرَ الغدرِ من يدِ صافحتهم
وطقوسُهم وأيامُهم ولوحاتُهم ملونةٌ بالتفاؤل ،
لا يتعلمون من أخطائهم بسهولة

ويكررون الأخطاءَ كعاداتٍ طفولية
ويمنحون القلوبَ حولَهم ثقةً متناهية
ولا يلمحون اللونَ الأسودَ في الحياة .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
يقتربون من الأرواحِ التي تمرّ في حياتِهم حدّ الالتصاق
ويتعلقون بالتفاصيلِ والبقايا كثيراً ،
يرافقهم حسنُ النيةِ بالآخرين دائماً
ويتفننون بالتماسِ الأعذارِ للغير
ولا يعرف الظنُّ السيءُ إليهم طريقاً .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
يتمسكون بالبداياتِ بإصرار
ويرفضون النهاياتِ برعب
ولا يستوعبون واقعَ الفراقِ سريعاً
يتحايلون على الواقعِ بالحلم
يتحايلون على الحلمِ بالوهم
ولهم على خارطةِ الأحلامِ مساحاتٌ شاسعة .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
لا يعترفون بالخيانة
ولا يذيقون سواهم مرارةَ الغدر
ويبدؤون بنقاء
وينتهون بوفاء ،
يسرق الحنينُ منهم جزءاً كبيراً من العُمر
يخلصون لحكاياتِهم حتى الموت
وللأمسِ في أعماقِهم معزّةٌ خاصة .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
يمارسون دورَ حمامِ السلام
ينشرون الحبَ على الأرض
يهمسون في بناءِ مدنِ الفرح
يسارعون لترميمِ انكسارِ القلوب
يتحدثون بصوتِ النقاءِ والحبِ والحلم
يشعرونَك بأنهم قد اخترعوا البياضَ على الأرض .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
يتمسكون بطفولتِهم برغم السنوات
وتبقى قلوبُهم في طورِ الطفولة
لا تكبر أعماقُهم ولا تتلوث أبداً ،
ترتسم ملامحُ الطفولةِ على وجوهِهم
وأعينُهم مرآةٌ صادقةٌ لأعماقِهم ،
تقرأ بأعينِهم كلَّ ما تخفيه أعماقُهم
فهم لا يجيدون التخفّي والإخفاء
ويفشلون في ارتداءِ الأقنعة .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
لا يخذلونَك أبداً عند الحاجةِ إليهم
فهم أولُ من يدثّر حاجتَك ويسترُها
وهم أولُ من تلمحهم عيناك عند انكسارِك
وأولُ من ينتشلُك عند غرقِك بأحزانِك
يمنحونَك أنفاسَهم عند الاختناق
ويحولون أيامَهم إلى طوقِ نجاةٍ يلقونه إليك .

أصحابُ القلوبِ الخضراء
حين يحبون يحبون بعنف
وحين يخلصون يخلصون بعنف
وحين يُصدَمون يصدمون بعنف
وحين ينكسرون ينكسرون بعنف
وحين يذبلون يذبلون بعنف
وحين يبكون يبكون بعنف .

إذا كنتَ ممن يحيط بهم أصحابُ القلوبِ الخضراء
فالتصق بهم جداً . . .
لأنهم عملةٌ نادرةٌ في زمنِ القلوبِ الملونة .

أشياءُ تؤلم

(لطالما ظننتُ ألا شيءَ أشدُّ إيلاماً من رحيلك)

لا شيءَ يؤلمنا كالجلوسِ فوق قارعةِ طريقٍ لا يمرُّه الفرح

كالانتظارِ فوق محطاتٍ هجرتها القطارات

كالرقصِ فوق أشلاءِ القلبِ لإثباتِ الكرامة

كتدوينِ حكايةِ العمرِ فوق جدارٍ آيلٍ للسقوط

كالنومِ تحتَ مقصلةِ الوقتِ في ليلةِ فراقٍ مُبكية

كتذييلِ قصةِ العمرِ بكلمةِ النهاية

كتعليبِ أحلامنا إلى زمنِ صلاحيتها

كالوصولِ للصفحةِ الأخيرةِ من الفرصةِ الأخيرة

كالوقوعِ في الحبِ في الحلقةِ الأخيرةِ من العمر

كالبكاءِ خلفَ روحٍ أمست بلا روح

كارتطامِ سماءِ الدنيا بأرضِها ذاتَ صدمةٍ عنيفة

كالتصاقِ التفاصيلِ الحزينةِ في ذاكرةٍ قوية

كبكاءِ الأماكنِ المهجورةِ على مفارقيها

كصرخةِ مقهورٍ لا حولَ ولا قوةَ له في وجهِ الظلم!

كتحوّلنا لوجبةٍ سريعةٍ على طريقٍ قصير

كتسوّلِ الحبِ من قلبٍ شحيح

كتبريرِ الرحيلِ بطرقٍ مفضوحةٍ وأساليبَ مكشوفة

كتحوّلِ رجلٍ في موقفٍ ما إلى امرأة

كسقوطِ عظيمٍ كان رجلاً في أعيننا

كسقوطِ قمةٍ وتحوّلها إلى قاع

كانهيارِ قامةٍ كانت في قلوبنا قمة

كسقوطِ قناعٍ ظنناه وجهاً حقيقياً

كتحوّلِ تاجِ رأسٍ إلى حذاءِ قدم

كتحكم هبلةٍ في طبلةِ الحي

كاستيقاظِ حلمِ العمرِ على رنينٍ في غيرِ أوانِه

كاستقبالِ حبٍ أخضرَ في خريفِ العمر

كالاحتفاظِ بقلبٍ عشريني في جسدٍ ستيني

كانكسارِ جناحِ الحلمِ في قمةِ تحليقه

كاعتراضِ الضميرِ الحيِّ على حكايةٍ غالية

كحلمٍ مزعجٍ ينبئُ بانتهاءِ واقعٍ جميل

كصمتِ رجلٍ أمام حبيبةٍ تستغيث بمواقفِ رجولته

كاستغفالِ الرجلِ العظيم للمرأةِ التي تقف خلفَه

كهَتكِ أنثى سترَ رجلٍ قضى عمرَه يسترُها

كاحتلاءِ المرأةِ بزوجٍ تنفرُ منه

كاالانحطاطِ باسمِ الغرامِ والخيانةِ باسمِ الانتقام

كاستخدامِ مجروحٍ لروحٍ لا ذنبَ لها كتجربةٍ للنسيان

كمحاولةِ تبريرِ خيانةٍ تمّ اكتشافها

كتلميعِ الخطيئةِ وتجميلها بمساحيقِ الحب

كتحوّلِ الإنسانِ إلى جهازِ إيداعِ أموالٍ حرامٍ في حرام

كاحتلالِ الشفقةِ المقيتةِ لعرشِ الحبِ العظيم

كنفاذِ زادِ الحبِ قبل انتهاءِ رحلةِ الحلم

كاستمرارِ علاقةٍ ميتةٍ تجنباً لردةِ فعلِ الأحياء

كاكتشافِ زوجةٍ بصمة امرأةٍ عابثةٍ على جسدِ زوجِها

كاضطرارِنا لصعودِ القطارِ لأنه آخرُ القطارات

كتحوّلنا إلى كلمةٍ مناسبةٍ لسدّ فراغٍ لا يناسبنا

كبَترِ يمينِنا حتى لا تتحولَ إلى اليدِ التي توجعنا

كالبكاءِ سراً من عذابِ عاطفةٍ لا يمكننا المجاهرةَ بها

كتحوّلِ الصديقِ إلى ذئبِ طريق

كضياعِ تعبِ سنواتٍ في فلذةِ كبد

كموتِ القلبِ قبلَ موتِ الجسد

كالسيرِ عكسَ التيارِ لأن الحقَّ باتَ مقلوباً

كامتدادِ يدِ الموتِ لعزيزٍ يمثّلُ الحياةَ لنا

كتحوّلِ طوقِ النجاةِ إلى قشةِ غريقٍ مخادعة

كابتعادِ حلمِ العمرِ كلما اقتربنا منه كسرابِ طريق

كلحظةِ غروبٍ تأخذ معها من شروقنا ما تأخذ

كاشتعالِ نارٍ واقعيةٍ في هشيمِ أمانينا

كتحوّلنا إلى خيالِ مآتة لحمايةِ أراضي أحلامِهم

كقيامنا بأدوارِ المهرجِ لرسمِ البسمةِ على وجوهِهم

كالتصديقِ بأن القناعةَ كنزٌ لا يفنى واكتفاءَنا بهذا الكنز

كالعرقلةِ بقيودِ العقلِ والنضجِ في قمةِ جنونِ العاطفة

الحزن الممنوع

(الحزن الممنوع . . هو ذلك الحزن الذي . تكون
أغلب تفاصيله بنا . . وليس حولنا)

هناك أحزان ممنوعة
أحزان لا نملك حق إظهارها للنور . .
أحزان تدور تفاصيلها (بداخلنا)
لأن (حولنا) لا يتسع لها
كأحزان الحكايات التي نعيشها في الخفاء
فالحكاية التي لا نستطيع إظهارها للنور تبقى تفاصيلها حبيسة بنا
فنفرح فيها بيننا وبين أنفسنا . . ونحزن بيننا وبين أنفسنا
ونعيشها بيننا وبين أنفسنا
ونموت فيها بيننا وبين أنفسنا
وحين ننكسر فيها نبكي بيننا وبين أنفسنا
لان هذه الحكاية كانت عالمنا الخاص
العالم الذي أخفيناه عن أعينهم

وحرمنا عليهم الدخول إليه

وتحول مع الوقت إلى .. سرنا العظيم!

لذا نحن نحتاج إلى الكثير من القوة

والكثير من التماسك والكثير من الصبر

والكثير من القدرة على التمثيل

كي نتقن دور السعيد في وقت يجب أن نحزن فيه

ونتقن دور الضاحك في وقت يجب أن نبكي فيه

ونتقن دور اللامبالي في وقت يجب أن ننهار فيه

ونتقن دور الصامت .. في الوقت الذي يجب أن نصرخ فيه

ولنتجاوز المفاجآت غير السارة لحكاياتنا السرية

كفقداننا بطل حكاية عمر بشكل مفاجئ

ولسبب لا نملك القدرة على منعه أو إيقافه

كالموت مثلا!

لذا أتساءل دائما ..

الرجال الذين غادروا هذه الحياة بلا مقدمات وداع

كإصابتهم بسكتة قلبية

أو حادث مرور مروع

أو استسلموا لغيبوبة مفاجئة

أو سقطت الذاكرة منهم لسبب ما

وتركوا خلفهم حكايات ناقصة النمو

بكل أبطالها .. وتفاصيلها الدافئة ..

وأحاديث مبتورة .. وهواتف يعلو رنينها كلما اشتد الفقد .. ولا مجيب

هؤلاء ماذا كان مصير بطلات حكاياتهم؟

فكثيرون حين غادروا الحياة بشكل مفاجئ

كانت هناك أنثى تبكيهم في الخفاء

أنثى ربما لو طال بهم العمر أكثر لكانت نصفهم الآخر في أوراقهم الرسمية

أنثى عشقوها في السر وتعلقت بهم في الخفاء

هذه الأنثى ربما كانت أكثرهم حزنا وصدمة وفقداناً

لكنها سفكت في الخفاء حزنها

لأن أوراقها الرسمية لم تنسبها إليه

ولأن هناك أحزاناً ممنوعة

أحزان مضافة اجتماعيا إلى قائمة (العيب) و(العار)

لكن،

لان هناك عواطف نبيلة لا توثق بأوراق رسمية

ولان القدر لم يمهل حلمها الوقت الكافي لكي ينضج ويسير

أمام الملأ على قدميه

لذا تستتر هذه الأنثى كي تحزن

وتستتر كي تبكي وتستتر كي تصرخ

وتستتر كي تمارس حقها في الحزن

على نصف آخر رحل تاركاً بها من ألم ورعب البتر الكثير

فنحن لا نملك حق الحزن على أحلامنا التي مارسناها في السر

حين نفقدها

ولا نملك حق الحزن على الأرواح التي كانت أنصافنا الأخرى

في حكاية سرية

فالحزن أيضا قد يحتاج أحياناً إلى (صفة) تبرره وتبيحه

لكننا نحزن . . نحزن كثيراً . . ونتكسر كثيراً . . ونرتعب كثيراً .

فالسر لا يعني أن العاطفة كانت هشة

ولا يعني أن الحكاية كانت كرتونية

وحتما يدخل النصف المتبقي من حكاية خفية

مراحل من الحزن والذهول الداخلي

فليس بالأمر السهل أن تستيقظ من تفاصيلك بعد سنوات

لتكتشف أنك أصبحت البطل الوحيد في حكاية كانت مشتركة

لذا ،أخرجوا حكاياتكم النقية إلى النور

اعتنوا بها كطفلكم المدلل

امنحوها النور والضوء والهواء

أو أطلقوا سراحها ان كانت غير قابلة للنور

حرروها وتحرروا منها

كي لا تضطروا للتنازل عن حقكم في ممارسة احزانكم على الملأ

فأحزاننا هي مشاعرنا التي يجب علينا احترامها

الأقنعةُ الطيبة

(ليست كلُّ الأقنعةِ شريرة ، فبعضُ الأقنعةِ طيبةٌ
نرتديها حباً وليس خبثاً وبعض الأقنعةِ نحتاجها
حذراً وستراً وليس خُذلاناً وغدراً)

الأقنعة الطيبة هي صديقُنا المرافقُ لوجوهِنا والساترُ لأحزانِنا
فنحن لا نرتديها فقط كي نخفي آثارَ السهرِ ولا خطوطَ الزمنِ
ولا بقايا البكاءِ ولا بشاعةَ الحزن .

نرتديها كي نبتسمَ في وجوهٍ تحتاجُ ابتسامتَنا في وقتٍ نحتاجُ
فيه نحن للبكاءِ وبشدة!

نرتديها كي نعاودَ التسللَ لعالمِهم بوجهٍ آخَر واسمٍ آخَر وهويةٍ
أُخرى في وقتٍ ندركُ فيه
مدى حاجتِهم لوجودِنا بعد أن طعنوا الوجهَ الأول والاسمَ
الأول والهويةَ الأولى .

نرتديها كي نكون أولَ من يلبيهم عند الحاجة وأولَ من يسترُهم عند العُري وأولَ من يدثِّرهم عند البرد .

نرتديها كي نكونَ الأقربَ لهم وقتَ تخبّطِهم والأصدقَ معهم وقتَ حيرتِهم والأخلصَ لهم وقتَ محنتِهم .

نرتديها كي ننزع بها خناجرَ الغدرِ من ظهورِ عزيزةٍ علينا في وقتٍ تتمرجح فيه خناجرُ خذلانِهم في ظهورِنا

نرتديها كي نثبّت صورَهم على جدرانِ التاريخِ بقوةٍ في وقتٍ يهزون فيه صورَنا على جدرانِ التاريخِ بقوةٍ أشد .

نرتديها كي نبدو أمامَهم بكاملِ قوتِنا وكاملِ شموخِنا وكاملِ صحتِنا في وقتٍ ننزف فيه الصحةَ وتنزفُنا فيه الروحُ ببطء .

نرتديها كي تحتفظ التفاصيلُ بعطرِها والرسائلُ بحبرِها والمشاعرُ بصدقِها والصورُ بألوانِها والأحلامُ بقيمتِها والعشرةُ بقدرِها .

نرتديها كي نستترَ من أعينِ كبريائِهم ونحن نلقي بقلوبِنا أطواقَ نجاةٍ لهم وموجُ الوقتِ يعلو فوقَهم وتحتَهم وحولَهم .

نرتديها كي لا نساهمَ في سقوطِ أمكنةٍ أحببناها يوماً وكي لا نتسببَ باقتلاعِ شجرةٍ عريقةٍ آوتْ عصافيرَ أحلامِنا يوماً كوطنٍ وأكثر .

نرتديها كي نتقنَ الصمتَ حين يمزقُنا غيابُهم وتمتدُ غاباتُ الفراقِ بيننا وبينهم فلا نناديهم بصوتٍ فاضحٍ مسموع .

نرتديها كي نتظاهرَ بالقوةِ حين يكون حملُنا أقوى من ظهورِنا وهمُّنا أكبر من قلوبِنا وقاماتُنا أضعفُ من قدرةِ الوقوف .

فاحرصوا على اقتناءِ الأقنعةِ الطيبةِ واحملوا وجوهَكم المتعددةَ في جيوبِكم
فنحن في زمنٍ يضيع فيه أصحابُ الوجهِ الواحد .

الطرقات

(بعضُ الطرقاتِ صناديقُ أسرارٍ وذكرى)

أنا هنا حيث كنتُ منذ سنوات

وأعلم أن السنواتِ لم تعد هنا

وأعلم أن الروايةَ قد انتهت

وأن النقطةَ الأخيرة في السطرِ الأخيرِ قد وضعتها الأيامُ منذ زمن

وأعلم أن رفاقي خلعوا أجنحةَ أحلامِهم وغادروا سيراً على الأقدام

وأعلم أن العناكبَ استوطنت قديمَ ألعابي وقديمَ دفاتري وقديمَ ممتلكاتي

وأعلم أن يدَ الوقتِ مسحت كتاباتِ قلمي وملامحَ رسوماتي

وآثارَ عبثي فوق جدرانِ جيراني

وأعلم أن كبارَ جيراني غادروا الحياةَ وأن صغارَهم غادروا الأمكنة

وأعلم أني حين غادرت ذاتَ مساء كنت مسرعةً جداً .. كرياحٍ
عاتية أو كعاشقةٍ تركض باتجاه موعدِها الأخير ..
فنسيت إغلاقَ الشبابيك وإحكامَ إقفال الأبوابِ خلفي!

وربما تعمَّدتها فأبقيتُ المنافذَ مفتوحةً لأني خشيت أن يطولَ
غيابي
فتموت كلمةُ السر في ذاكرتي ..
وأبقى وقتَها عاجزةً عن الدخول إلى أمسي كمنفيةٍ من وطن
فأحياناً نحمل أمسنا معنا كقنينةِ ماء شفافةٍ ننظر إليها من
الخارج ..
ونتابع التفاصيلَ بحنين ..
نتذكر ونبتسم بألم ونتمنى الدخولَ إليها كثيراً ولا نستطيع
فمع الوقت تتحول مراحلُنا وتفاصيلُنا إلى لوحةٍ زيتيةٍ ملونة
تزين جدارَ ذاكرتِنا
وعند الحنينِ ندقق في اللوحةِ كثيراً ونسافر بها كثيراً ونعود!

وها قد عدتُ كما حدثني قلبي يوماً
عدتُ كأميرةٍ مهزومةٍ أجرُّ في أقدامي الكثيرَ من خيباتِ الوقت

ومن خيباتِ زمنٍ لا يشبهني وخيباتِ أحلامٍ ذبلت بعد
اخضرار!
ها قد عدتُ كما توجّس وتشهّى قلبي دوماً
أبحث عن نقنقة دجاجِ جارتنا المسنة بعيداً عن نباح كلبِ
جارنا الجديد!
أبحث عن دفءِ أحاديثِ الجارات في طرقاتِ الحارات
بعيداً عن ثرثرةِ السياسةِ في تويتر والفيسبوك
بعيداً عن صفحاتِ التواصلِ الاجتماعي
تلك الصفحاتُ الباردةُ كالمدنِ الكبرى!
كالغرفِ مكشوفة السقفِ
كالطرقاتِ المرعبةِ مساءً
كالحكاياتِ المخيفةِ قبل النوم!

هأنذا أعود إلى هذا المكان
أعود لا أحملُ في يدي حقيبتي المدرسيّة
لكن في داخلي رهبةَ العودة الأولى بعد الغياب
تماماً كرهبةِ اليومِ المدرسي الأول والحصةِ الأولى والدرس الأول
والواجب الأول!

لا أعلم من تبقّى هنا؟
لكنني عدتُ أحمل فوق أكتافي من الحنينِ جبلاً
جبلاً لا أعه لكنني أستشعره جيداً
فهل من أحدٍ هنا؟
هل من عطرٍ قديمٍ مختبئٍ بين الزوايا فيتسرب من مخبئه ليعيدَ لي الزمانَ والمكانَ والتفاصيل
هل من رفيقِ طفولةٍ تحايل على الوقت ونجحَ في ألا يكبر؟
هل من صديقٍ ما زال يمارس الكتابةَ على جدرانِ أهالي الحي؟
ويغني للغيابِ أغنيةَ حنينٍ حزينة
هل من طفلٍ قديمٍ هنا سيهبُّ لاستقبالِ الطفلةِ القديمةِ العائدةِ في ملامحي؟

أين أهلُ الدار؟ أين رفاقي؟
أين عروستي التي حاكت لها أمي قطعَ الملابس الفائضةِ من ملابسها؟
أين عباءةُ المطر التي صنعتها لي جدتي؟
أينَ جدتي؟ أين يا وقتُ جدتي؟
أينَ رفيقُ طفولةٍ علمني الكتابةَ صغيرةً وعلمتهُ القراءةَ كبيراً

فكنتُ أتسللُ إلى هذا الجدار جهراً كي أكتبَ له وكان يتسللُ
بعدي سراً كي يقرأ لي؟
أين أرواحٌ كانت تتسللُ كلْ مساءٍ إلى هنا
أين فرسانُ طفولتي؟ أين بطلاتُ ألعابي؟
فهنا أكوامٌ من الأجنحةِ لكنْ لا طيورَ هنا
هل وصلتُ متأخرة؟
هل رحل الجميعُ ونسوا أخذَ أجنحتهم؟
لهذا تخبطوا كثيراً خارجَ أسوار المكان
وعجزوا عن الطيران
وكلّما ارتفعوا تساقطوا!!

آآآه أيها الزمان! ما أثقلَ وزنَك على ظهورِنا وأكتافِنا
فكلما كبرنا نحن ثقلت أنت
وكلّما حملناك انحنينا كثيراً . .

فيا رفاقي أنا هنا . .
جئت ومعي مظلاتُ مطرٍ بعدد إخوتي فأين المطر؟
جئت ومعي (مصاصاتُ حلاوةٍ) بعدد رفاقي فأين رفاقي؟

جئت ومعي عرائسُ قماشيةٍ بعَددِ صديقاتي فأين صديقاتي؟
جئتُ ومعي قطعُ فحمٍ كثيرة فأين جدرانُنا القديمة؟
جئتُ ومعي كراسةُ رسمٍ وألوانٌ مائيةٌ وشمعية وخشبية فأين حصة الرسم؟
جئت ومعي أكوامُ ورقٍ ملون وخيوطُ حريرٍ ملونة
فمن سيصنعُ لي طائرةً ورقية؟
ويهديني البحرَ والهواء والرمل ويسترني عن الأعينِ كي أمارس طفولتي!

القوارير

(إنها أنثى ، قارورةُ عطرٍ وأرَق)

لا شيءَ يقلق المرأةَ كالحلمِ المتأرجحِ بين سماءِ الخيالِ وأرضِ الواقع
فلا إلى هنا ينتمي ولا إلى هنا .

ولا شيءَ يجرح المرأةَ كصوتِ ارتطامِ انكسار كرامتِها على أرضِ رجلٍ ما .

ولا شيءَ يكسر المرأةَ كاختلاءِ زوجها بزوجةٍ أخرى بالغوا في تزيينِها كي تزَفَّ إليه في ليلةِ عمرِه الأخرى .

ولا شيءَ يغيّرُ المرأةَ كارتطامِها بحقيقةٍ بشعة لم تخطر في بالِ حلمِها يوماً .

ولا شيءَ يذبح المرأةَ كزفافِها إلى مقصلةِ رجلٍ ما وفي قلبِها رجلٌ آخَر .

ولا شيءَ يخدع المرأةَ كعينِ الحبِ التي تزينُ لها السيءَ وتجمّل لها القبيحَ وتلونُ لها السواد .

ولا شيءَ يعرّي المرأةَ كنظرةِ اشتياقٍ من عينِ رجلٍ تعشقه حدَّ الجنون .

ولا شيءَ يلدغ المرأةَ كلدغةِ حبيبٍ عقربٍ أو رفيقةِ سوءٍ أفعى .

ولا شيءَ يهين المرأةَ كمقارناتٍ تعقدُ بينها وبين أخرى ظهرَت في حياةِ من تحب .

ولا شيءَ يرعب المرأةَ كإحساسِها أن حكايتَها مؤقتة وأنها حتماً مفارقة .

ولا شيءَ يهزم المرأة كحنينِ النهار بعد اللقاءِ وحنينِ الليلِ بعد الفراق .

ولا شيءَ يربك المرأة كوقوفها في حضرةِ رجلٍ يخفق قلبُها لذكرِه وعطرِه .

ولا شيءَ يعيد مراهقةَ المرأةِ كحكايةِ حبٍ مفاجئة في خريفِ العمر .

ولا شيءَ يحيي طفولةَ المرأةِ كتدليلها على يدِ رجلٍ يهمها أمرُه .

ولا شيءَ يسرق عمرَ المرأةِ كانغماس سنواتِها في حكايةٍ بلا أمل .

ولا شيءَ يطفئ نضارةَ المرأةِ كظلمةِ الفراقِ وليالي الفراقِ وحُرقةِ الفراق .

ولا شيءَ يطفئ أنوارَ الكونِ في عينِ المرأةِ كرحيلِ رجلٍ كان هو أرضُها وسماؤها وكونُها .

ولا شيءَ يحيِّر المرأة كظلمِ الاختيار بين أمومتِها وأنوثتِها .

ولا شيءَ يكسر المرأة كاكتشافِ عجز الأمومةِ في أنوثتِها .

ولا شيءَ يظلم المرأةَ كظلمِ مصادرةِ اختياراتِ قلبِها والانتقاءِ باسمِ العقلِ لها .

ولا شيءَ يُحَوِّلُ المرأة إلى رَجُلٍ كاغتيالِ أنوثتِها على يدِ رَجُلٍ بلا رجولة .

ذنبُك وحدَك

(استيقظ ولا تكمل الحلم إذا اكتشفتَ أنك تؤدي دورَ الغبيِّ في حكايةٍ من طرفٍ واحد)

ليس ذنبُهم ..
أنك انتقيتهم لحكايةِ عمرِك
ومنحتهم دورَ البطولةِ وجعلتَهم جزءاً مهماً من حلمِك الدافئ ..
وتنازَلت عن خيالِك الشاسعِ لهم ....
ومهّدتَ لطيفِهم الطريقَ إليك وأدمنتَ الحلمَ بهم .
وحولتَهم إلى قصيدةِ حب .
وخبأتهم في دفترِ أسرارِك ، وقرأتهم على نفسِك قبل النوم .

ليس ذنبُهم
أنك خبأتَ وجوهَهم في ذاكرتِك
وتصفحتَ صورَهم في ليالي الشوق اليهم
وأبحرتَ باتجاهِهم على غيرِ موعد معهم .

وشيدتَ مدنَك فوق صحراءِ الوهم
وحفرت آبارَ السرابِ في طريقِك
وسقيتَ نفسَك حتى ارتويتَ من السراب .

ليس ذنبُهم
أنك طرقتَ أبوابَ قلوبِهم في غيابِها
واقتحمتَ أحلامَهم بلا استئذان
وحلمتَ بهم على غفلةٍ منهم .
وسلمتهم مفاتيحَك السرية
ومنحتهم تأشيرةَ التجولِ بك
وقدمتَ لهم دعوةَ الإقامةِ بك .

ليس ذنبُهم
أنك تقمصتهم
وحاورتَهم في غيابِهم
وحدثتَ نفسَك بأصواتِهم .
وغنيتَ أغاني الحبِ لهم
وتركت وروذَك على بابِهم
ووصلتَ إلى أعلى مراتبِ الوهم بهم .

ليس ذنبُهم

أنك حين لا تراهم تشعر باليُتم

وحين لا تسمعهم تشعر بالضياع

وحين يغيبون تغيب ملامحُ الأشياءِ وتختفي .

وانك جعلتهم مركزَ الكون

وجعلتهم بدايةَ الأشياءِ ونهايتَها

وبالغتَ في التعلقِ بهم .

ليس ذنبُهم

أنك تشعر بالرعبِ من فقدانِهم

ولا تتخيل الحياةَ عندَ رحيلهم

ولا تتصور ملامحَ أيامِك من دونهم .

وأنك ربطتَ المكانَ بهم

وربطت الزمانَ بهم

وربطتَ استمراريةَ الحياة

باستمرارِ وجودِهم معك .

ليس ذنبُهم
أنك توهمتَ ببناءِ سفينةِ نوح
واخترتهم ليكونوا نصفَك الآخَر
وأبحرتَ بهم إلى جزرِ الأحلامِ بلا علمٍ منهم .
وتحدثتَ عن إحساسِك بصوتٍ مرتفع .
وثرثرت على الملأ حكاية حبك لهم .

ليس ذنبُهم
أنك وصلتَ في غيرِ أوانِك
فلم يكن زمانُهم زمانَك
ولا أمانيك أمانيَّهم
ولا أحلامُهم أحلامَك .
وانك حين شعرتَ لم يشعروا
وحين حلمتَ لم يحلموا
وحين اشتقتَ لم يشتاقوا
وحين سهرتَ لم يسهروا
وحين بحثتَ لم يبحثوا
وحين تألمتَ لم يتألموا

وحين ناديتَ لم يسمعوا

وكانوا آخرِ من يعلم .

لا شيءَ يستحق

(لا شيءَ يستحقُ أن تكرهَ الشارعَ والطريق
والمكان لأن أحدَهم مرّ ذاتَ يومٍ من هنا)

لا شيءَ يستحق
أن تلتقي بالطريقِ إنساناً تحبه بجنون
فتتمنى أن تصافحَه
وتحلمَ أن يفتحَ لك ذراعيه
لتبكي بين ذراعيه
وتحدثَه عن معاناتِك في بُعدِه
وتتركَ بصماتِ دموعِك الصادقة فوق صدرِه
ويربتَ بيديه الحانيتين فوق ظهرك
لكنك تتذكر أنكما في حالةِ فراق
فتقابله كالغرباء
وتعامله بجفاء
وكأنك تراهُ لأول مرة

وتنسحب من أمامِه وأنت تتمنى أن يلحقَ بك
وأن يناديَك صوتُه .

لا شيءَ يستحق
أن تشتاقَ إليهم بألم
وتمرّ في المساءِ أمامَ ديارهم
وتستترَ بظلامِ الطريقِ بانتظار طيفهم
وتقاومَ رغبتَك المجنونة في رؤيتهم
وتشتعلَ بشوقِك الجامح إليهم
ولكن يَحولُ كبرياؤك بينك وبينهم
فتعود وحيداً لتنطفئَ فوق وسادتِك بدموعِك .

لا شيءَ يستحق
أن تقضي ما تبقّى من عمرك وحيداً
تحصي وجوهاً أحبَتك
وأخرى أحببتَها
وتسدّ نوافذَك على العالم
وتغلق أبوابَك بوجهِ القادم

وتحرقُ سنواتِ عمرك بنارِ آلامك
وتبكي فوق أطلالِ حكايةٍ ماتت
وتجلس تحت سدرَة أحزانك
بانتظارِ تحقيقِ أمنيةٍ
أنت أعلمُ الناس أنها لن تتحققَ يوماً .

لا شيءَ يستحق
أن تكرهَهم بعد الحب
فتتجنّب الحديثَ عنهم
وتتجنّب الطريقَ المؤدي إليهم
وتسخر من تضحياتِك الصادقة معهم
وتندم على عطائِك اللا محدود لهم
وتصف نفسَك بالغباءِ والسذاجة
وأشياءَ أخرى لا تليقُ بك
وتلعن أيامَك الجميلةَ معهم
وتشوه جمالَك بداخلِك
كي تكونَ إنساناً أكثرَ تشوهاً وواقعية منهم .

لا شيءَ يستحق
أن تغضبَ حدَّ الثورة
وأن تثورَ حدَّ الاشتعال
وأن تشتعلَ حدَّ الاحتراق
وأن تحترقَ حدَّ الألم
وأن تتألم حدَّ البكاء
وأن تبكي حدَّ الانكسار
وأن تتكسرَ حدَّ الموت
وأن يتحولَ بياضُكَ إلى سواد
وأفراحُكَ إلى حِداد
وابتسامتُكَ إلى دموع
وتفاؤلُكَ إلى تشاؤم .

لا شيءَ يستحق
أن تصرخَ في وجهِ نفسِك
وتوبِّخَ قلبَكَ على اختيارِهِ الخاطئ
وتنصهرَ كالشموع
وتذبلَ كالورود

وتنهارَ كالجبال

وتغيبَ خلف يأسِك كالشمس

وتنزفَ صحتُك كالماء

وتموتَ بلا موت

وتبكي بلا صوت

وترفضَ القلوبَ الصادقة

وتفقدَ ثقتَك بالآخرين

فقط لأن أحدَهم عجزَ أن يبادلَك

مشاعرَك الجميلة تجاهَه .

لا شيءَ يستحق

ألا تبدأ أنت بالسلام

وألا تمدَّ يديك إليهم مصافحاً

وأن تتحدثَ عنهم بسوء

وأن تصفَهم ببشاعة

وأن تثرثرَ بعيوبهم

وأن تسلخَهم من إنسانيتَهم

وتصدرَ حكمَك بإعدامِهم

وتسلبَهم حقَ الدفاعِ عن أنفسِهم
وتبالغَ في إضاءةِ سلبياتِهم للآخرين
كي تقنعَ المحيطين بحقك وقضيتِك .

لا شيءَ يستحق
أن تقفَ أمام المرآة
وتحصي الشعرَ الأبيض في ليلِ رأسِك
وتتبعَ خطواتِ الزمن في وجهِك
وتفقدَ ثقتَك بنفسِك
وتنصهرَ ندماً على أيامِك
وتحكمَ على نفسِك بالموتِ حياً
وتُسدلَ ستائرَ النهاية على أحلامِك
وتطفئَ شموعَك قبل أوانِها
وتذبلَ قبل أوانِك .

أنواعُ السقوط

(بعضُ أنواع السقوطِ لا تعادلُه مرارة سوى مرارة الموت)

البعضُ يسقط من العين
والبعضُ يسقط من القلب
والبعضُ يسقط من الذاكرة .

والذي يسقط من العين
يسقطُ بعد مراحل من الصدمةِ ، والدهشةِ ، والاستنكارِ ،
ومحاولاتٍ فاشلة لتبرير اختيارِه هذا النوع من السقوط .

أما سقوطُ القلب
فإنه يلي مراحلَ من الحب والحلمِ الجميل
والإحساسِ بالضياعِ والندم . . ومحاولاتٍ فاشلةٍ لإحياءِ مشاعرَ ماتت .

أما سقوطُ الذاكرة

فإنه يبدأ بعد مراحلَ من التذكرِ والحنين ، وبعد معاركَ مريرةٍ مع النسيان

ناتجةٍ عن الرغبة في التمسكِ بأطيافِ أحداثٍ انتهت ،

وغالباً يكون سقوطِ الذاكرةِ هو آخِرُ مراحلِ السقوط . . وهو أرحمُ أنواعِ السقوط .

وليس بالضرورةِ أن الذي يسقط من عينيك يسقط من قلبِك

أو أن الذي يسقط من قلبِك يسقط من ذاكرتِك

فلكلّ سقوطٍ أسبابُه التي قد لا تتأثر . . أو تؤثر في النوعِ الآخَر من السقوط .

فالبعضُ يسقط من قلبِك ،

لكنه يظل محتفظاً بمساحاتِه النقيةِ في عينيك

فيتحولُ إحساسُك المتضخم بحبه إلى إحساسٍ متضخم باحترامِه

فتعاملُه بتقديرٍ امتناناً لقدرتِه في الاحتفاظ بصورتِه الملونةِ في عينيك ..

برغم مسحِ الصورةِ في قلبِك .
وهذا النوعُ من البشر يجعلُك تردّد بينك وبين نفسك كلما
تذكرتُه : شكراً .

أما المعاناةُ الكبرى فهي حين يسقط من عينيك إنسانٌ ما
لكنه لا يسقط من قلبِك . . ويظل معلقاً بين مراحلِ سقوطِ
القلبِ وسقوطِ العين
وتبقى وحدَك الضحيةَ لأحاسيسَ مزعجة ،
تحبه لكنك بينك وبين نفسك لا تحترمه
وربما قلة احترامك له أكثرُ من حبك .

ولأن الذاكرةَ كالطريق
تلتقط معظمَ الوجوهِ التي تلتقيها
والتي قد لا يعني لك أمرُها شيئاً
فإن سقوطَ الذاكرةِ هو أرحمُ أنواعِ السقوط
لأنه آخرُ مراحلِ سقوطِهم منك ،
فالذي يسقط من الذاكرةِ لا يبقى في القلبِ ولا يبقى في
العين!

وكم هو جميلٌ أن نجدَ لأنفسِنا أماكنَ دافئةً في قلوبِهم وأعينِهم
لكنَ الأجملَ هو أن نحافظَ على نقاءِ هذه الأمكنةِ بهم
وإذا قررنا يوماً السقوط . . .فلنتجنّب سقوطَ العين
لأن بعدَه يتسخُ البياضُ وتصبح كلُّ المساحاتِ النقيةِ ملوثة!

صاحبُ الظل العزيز

(ليس هناك أخوةٌ لم تلدهم أمي لكن هناك الكثيرَ من الأصدقاءِ الذين تمنيتُ لو ولدتهم أمي أولهم أنتَ)

أنتَ الذي لم تكن صديقَ بداياتي

لم تكبر معي ولم تقاسمني ألعابَ طفولتي

ولا أشعلتَ فتيلَ الألعابِ النارية ليلةَ العيد معي

ولا تجولتَ في طرقاتِ الحيِّ القديم بصحبتي

ولا قطفتَ معي حباتِ التوتِ من بستانِ جدي

ولا شاركتني النظرَ إلى وجهِ جدتي وهي تسرد عليَّ حكايةَ ذئبِ ليلى وأميرِ سندريلا!

ولا شاركتني طيشَ تفاصيلِ مراهقتي ولا كتبت معي رسالة حبٍ سرية

ولا أخفيتَ معي الوردةَ الحمراءَ في كتابي المدرسيِّ

ولا دسستَ لي بين الكتبِ مجلةً نسائية نهتني والدتي عن قراءتها

ولا أغلقتَ الأبوابَ لقراءة رسالةِ عاشقي الأول معي
ولا سترتني لمحادثة رجلٍ أحببتهُ على غفلةٍ منهم . .

لم تفعل كلّ ذلك ولا كنت كلّ هؤلاء
لكنك كنت صديقَ نضج
صديقي الأقربُ إلى مدني الداخلية
صديقُ مرحلةِ العمر التي يكون فيها الحزنُ بكامل قواه
والحنينُ شَجرةُ وارفةُ الظلال كسدرةِ البيتِ العتيق

المرحلةُ التي نكون قد حصدنا فيها الكثيرَ من التجاربِ والكثيرَ من الهزائم
والكثير من الانتكاساتِ والكثيرَ من الأقنعة
المرحلةُ التي نصل بها إلى منتصفِ أغلبِ الأشياء في حياتنا
المرحلةُ التي يتبقى لنا فيها أنصافُ الأشياء
نصفُ الحزنِ ونصفُ الفرحِ ونصفُ الحلم
ونصفُ التفاؤلِ ونصفُ المبادئ ونصفُ الطيبةِ ونصفُ الدهشة
ونصفُ القدرةِ ونصفُ القوةِ ونصفُ الصحةِ ونصفُ الرواية .

وفي هذه المرحلةِ الهامة من العمر والحرجةِ من الحلم جئتَ أنتَ
جئتَ لتشاركني كلَّ اهتماماتي
اهتماماتي الناضجة أحياناً
والحمقاءُ أحياناً أخرى والطفولية في حالاتٍ كثيرة
جئتَ لتطليَ جدرانَ الصداقةِ باللون الأبيض
جئتَ لنغرسَ ثمارَ أحلامِنا في أراضي أعمارنا
أعمارُنا التي كنا نظن أنها ستنتظرُنا لتمنحَنا فرصةَ جني الثمارِ
التي غرسنا!

لكني بعد هذا العمر أتساءل أين أعمارُنا؟
أين عمرُكَ وأين عمري؟
أين أنصافُنا الأخرى الذين هيأنا أجملَ محطاتِ العمر
لاستقبالهم؟
أين أطفالُنا؟ ليقاسموا أطفالَ رفاقِنا اللعبَ؟
أين الذين صنعنا لهم من أرواحِنا جسورَ عبورٍ ليمروا إلينا
بسلام لكنهم مرّوا عنا
لماذا يرعبنا الآن رصدُ أرصدتِنا؟ لماذا يكسرُنا الآن فتحُ سلاتِ
أعمارِنا؟

لماذا يرعبنا الآن التجولُ في الطرقاتِ القديمةِ واختبارُ جري المسافاتِ الطويلةِ والوقوفُ أمامَ المرايا ومقابلةُ أصدقاءٍ قدامى تحملُ وجوهُهم خارطةَ أعمارِنا؟

احذرْ يا صديقي!
تجنب كشفَ غطاءِ سلالِك القديمةِ في هذا العمر
لا تعبث في ألبوماتِ صورٍ قديمة
ولا تتطفل على صناديق رسائل هجرتَها في أجملِ العمر
فسلاتُ عمرنا لا تحوي سوى أحلاماً وهنَّ أغلبُها بوهُزِم!

فنحن لم نجنِ يا صديقي من البياض سوى الهزائم
نعم هزائمُنا يا صديقي بلا حربٍ
هزائمُنا بلا زلازلَ وبلا براكينَ وبلا طوفانَ غضب
هزائمُنا ازدادت ثقلاً علينا يا صديقي لأننا هرمنا
نعم هَرمنا وأعلم أنه حديثُ العمر الذي تكرهه والذي كنتُ دائماً أشاغبُك به
كنتَ ترفض زحفَ السنوات في الوقتِ الذي كنتُ أنا أستعجلها المرور

لهذا كنت أنتَ لا تكبر وكنتُ أنا التي تشيخ
فأعمارُنا الحقيقيةُ تنبع من دواخلِنا ونكبرُ إن كبرت همومُ
أعماقِنا قبل أوانِنا!

لا تحزن يا صديقي ربما لم نكبر لكننا نضجنا كثيراً
نضجنا لدرجةِ إخفاءِ ألعابِنا القطنية
لدرجة هجرِ طائراتِنا الورقية
لدرجة الخجلِ من القفز فوق الحبال
لدرجة تجنبِ السير بلا أحذيةٍ فوق الرمال
لدرجة صناعةِ أقنعةٍ متعددة لمناسباتِنا المختلفة
لدرجة تصديقِ أن المُحالَ هو المُحال .

نضَجنا يا صديقي
وما زالت أحزانُنا كهواياتِنا متشابهة
ما زال كلانا يحتفظُ بصوتِ جدته في أذنيه
ما زال كلانا يبحثُ عن عطر جده في كفَّ يديه
ما زال كلانا يرى والدَه عظيماً قوياً شامخَ القامةِ رغم انحناءِ
الزمن

وما زال كلانا يشعر أنه غريبُ زمانٍ أحبتُه رحلوا جميعاً
وخلفوه نائماً تحت شجرةٍ مهجورة
ثم استيقظ بعد رحيلهم مرعوباً ينادي باكياً قافلةً رحلت من
دونه!

فأنا الأميرةُ المخلوعةُ من عرشِ الفرح
الممتلئةُ بالحزن كمدينةٍ مات كلُّ سكانِها بالوباء
وسكنت الرياحُ طرقاتِها . . . وبقيت الطرقاتُ والجدرانُ شواهد

وأنت العاشقُ الأبيضُ دائماً!
كلُّ قصصِ قلبِك التي كنت تسردها عليّ
كانت تشي أنكَ عاشقٌ أبيض لا تجيد التلّون
تبدأ الحكايةُ بنور وتختمُها بنور
كنتَ راقياً يا صديقي كفرسان القرونِ الوسطى
كنتَ رومانسياً لدرجة العزفِ تحت شرفتِها في ليلةٍ شتائيةٍ
غزيرة المطر
لكنكَ كنت صادقاً لدرجة الفشل . .

نضجنا يا صديقي وتغيرت أحزانُ العالم ورومانسيتُه وهمومُه كثيراً

وأصبحت ثوراتُه أكبرَ من ثورة البسكويت

أتذكرها؟ كانت أحزانُك في نظري كثورةِ البسكويت

كانت تضحكني رغم مرارتِها

لكني كنتُ دائماً أشعر أن في داخلك هزيمةٌ ما أو انتكاسةٌ ما

خذلانُ أحبةٍ أحرق الجزءَ الأعظمَ من أحلامِك

أو سرابُ طريقٍ أرهقك اتباعُه

لهذا كنت أخفيكَ أكثر من أسراري

وأتابع أحزانَك بيني وبين نفسي ترقّباً لنهايةِ تهديك الفرح!

فحتى الذين وثقتُ بهم وحدثتُهم عنك لم أحدثك يوماً عنهم!!

كنتُ في نظرك أنثى مثاليةٌ لأني لم أكن أستطرد في سردِ هزائمي وانتكاساتي عليك

كنتُ شديدةَ الحذر في سردِ حكاياتي وأحزاني أمامك

كنتُ دائماً أحرص على بقاء ألواني ناصعةً في عينيك

كأنثى في بداياتِ الحب

رغمَ أننا يا صديقي لم نتقاسم حكايةَ حب
ولا وجبةَ حلمٍ دسمة .. لهذا دمنا سنيناً ولم نفترق
ولهذا بقيَت المسافاتُ بيننا بيضاءَ لم تشوهها حماقاتُ الحب
ولم تحرق الغيرةُ أطرافَها!
ولهذا أيضا اقتربنا كثيراً وتشابهنا كثيراً
تشابهنا في تتبعِ سيرِ الزمان وعلاماتِ آخره
تشابهنا في ارتداءِ الطفولة
في تذكر فرحةِ ليلةِ العيدِ الأولى
في أمنيةِ إرجاع الزمانِ إلى الوراءِ
في الحنينِ إلى مقاعدِنا الدراسيّة
في غصةِ ابتلاع ذكرى الأربعاء وفرحةِ تصفُح ماجد . . .

متشابهون نحن حتى في مواقفِنا السياسيّةِ
فرغمَ اختلافِ المواقفِ في وطنِك عن وطني
كنا نعشق أوطانَنا حدَّ الثمالة
وكنا نكره السياسةَ التي تدمر الإنسانَ والأوطان!

صديقي العزيز
لا يهمني أن يعرفَك الآخرون
يهمني أن تشمَّ أنت عطرَك في الكلمةِ الأولى من السطر الأول
يهمني قبلَ أن أغادر الحياةَ أن أعلق على صدرك وسامَ صداقةٍ
رفيع المستوى
يهمني قبلَ الرحيل أن أضعَ أمام عتبةِ بابِكَ باقةَ وردٍ وبطاقةَ
شكرٍ بيضاء
وعبارةً يعقبها توقيعي : شكراً صديقي الأخُ وشُكراً أخي
الصّديق
يهمني جداً حين ألوح مودعةً ألا تختليَ بنفسك لتبكيني
فقلبُك أعرفه جيداً لا يجيد استقبالَ أنباءِ الرحيلِ بصمت
ومثلُك لا يلّوح حين يلوحُ بلا بكاء!

العمرُ الأخضر

(تمسكوا بأعمارِكم الخضراء، فهي مساحة من العمر قد لا تتكرر)

احرصوا على ألا تغادروا الحياةَ دون أن تمرّوا هذه المرحلةَ الجميلة من العمر،
مرحلةُ العمرِ الأخضر.

فالعمرُ الأخضرُ هو المرحلةُ الأجملُ في حياتِنا.. المرحلةُ التي قد تعادل العمرَ بأكملِه!
وليس بالضرورةِ أن يكون العمرُ الأخضرُ هو أولُ العمرِ أو منتصفُه
فقد يبدأُ العمرُ الأخضرُ في المرحلةِ الأخيرة من العمر،

المرحلةُ التي نترقب فيها إسدالَ الستائرِ وإطفاءَ المصابيحِ وإغلاقَ الأبواب،

فالحبُ قد يأتي في آخرِ محطاتِ العمر . . والأحلامُ قد تتحقق في آخرِ مراحلِ العمر . .
والشمسُ قد تشرق في مغيبِ العمر والورودُ قد تزهر في خريفِ العمر ،

وفي خريفِ العمر قد تنبتُ حكايةُ حبٍ صادقة . . وقد تتحقق أمنيةُ أرسلناها إلى السماءِ في أولِ العمر . .

فالعمرُ الأخضرُ قد يبدأ حين نظنُ أن النهايةَ قد اقتربت
والأمطارُ قد تهطل حين نظنّ أن الشتاءَ قد مضى .

فلا وقتٌ محددٌ للأشياءِ في الحب
فالحبُ هو فرشاةُ الألوانِ التي تلون حياتَنا
هو العصا السحريةُ التي قد تعيدنا إلى بداياتِ الأشياء
إلى بدايةِ الطريقِ وبدايةِ القوة وبدايةِ الصحةِ وبدايةِ الصفحةِ وبدايةِ السطر ،

فلا تكونوا من أولئك الذين يحرقون أعمارَهم الخضراءَ سعياً خلف سرابِ الدنيا

فيعيشون سنواتٍ طويلةً دون أن يمرّوا بالمرحلةِ الخضراءِ من العمر
ودون أن يستمتعوا بدفءِ المشاعرِ الحقيقية
فهؤلاء يدخلون الدنيا ويخرجون منها دون أن يعيشوا العمرَ
الأخضر .

فلا عمرٌ أخضرُ للذين يفتحون أعينَهم على ما وجدوا عليه
آباءَهم فيعيشون في جلبابِ سواهم .يتقبّلون ما ورثوا من حياةٍ
تقليديةٍ بأبيضِها وأسوَدِها يجمّدون عقولَهم
ويسيرون كالمغيّبِ خلف روتينِهم اليومي .

ولا عمرٌ أخضرُ للذين يسفكون أجملَ العمرِ في محاولة جمعِ
المال
للدرجة التي يتملّكهم فيها المالُ أكثرَ مما يتملكونه . . فيهملون
حتى أنفسَهم ثم تغادر هذه الأنفسُ الحياةَ تاركةً خلفها أكواماً
من مال سرق أجملَ لحظاتِهم في محاولةِ تجميعِه .

ولا عمرٌ أخضرُ لأولئك الذين يستهلكون أعمارَهم في حكاياتِ
حبٍ مستحيلة

حكاياتٍ عاريةٍ لا جدرانَ ولا أسقفَ لها ، حكاياتٍ لا يرفرف عليها الأمان

ولا يقترب الأملُ من أسوارها فتنتهي أعمارُهم وهم تائهون في منتصف البحر

يجدّفون باتجاهِ السرابِ حتى توهِن قواهُم فيخسرون كثيراً ويندمون كثيراً .

ولا عمرٌ أخضرٌ للذين يعيشون وأعينُهم على أبوابِ سواهم يحصون نعمَ اللهِ على المحيطين بهم .ويجحدون ما يحيط بهم من نعمٍ فتمضي سنواتُهم بين حقدٍ وحسد .

ولا عمرٌ أخضرٌ للذين يحرقون حكاياتِهم الجميلةَ في محرقةِ العادات

ويكملون ما تبقى لهم من عمرٍ أشباهَ أحياء . . يعيشون أسرى في سجونٍ شيّدتها لهم الظروفُ فيخذلون أنفسهم ويخذلون أحلامَهم ويخذلون أطرافاً أخرى وثقت بهم

وقاسمتهم بطولةَ حكايةٍ بيضاء .

ولا عمرٌ أخضرٌ للذين يقضون أعمارَهم يلهثون خلف المناصبِ والمراكز

ويهملون في الحياةِ ما هو أهمُ من المناصب . . وربما يدركون بعد الأوانِ أن الحياةَ ليست كلُها منصباً ومركزاً . . وأن هناك مراحلَ خضراءَ من العمر قد مرّت دون أن يعيشوا اخضرارَها .

أنواعُ الرجال

(وجميعهم (قد) يعيش فيهم ذلك الطفل الذي لا يكبر أبدا)

الرجلُ الرومانسي :

للمشاعر في حياتِه أهميةٌ كبرى

إحساسُه بالأشياءِ بلا حدود

يحبُ حين يحب بعنف

للحلمِ في داخلِه مساحاتٌ شاسعة

لا يتقبل النهاياتِ بسهولة

ويتمسك بآخرِ أنفاسِ الحكاية

يبدأ حكاياتِه بنقاءٍ وينهيها برُقيّ .

الرجلُ العاطفي :

قلبُه سيدُ المواقفِ في حياتِه

يتعامل مع الأشياءِ بمشاعرِه

وللمشاعر في حياتِه أهميةٌ كُبرى
يتأثرُ بالأشياءِ المحيطةِ به بدرجةٍ عظيمة
ودمعتُه سريعةُ الذوبان
لا يستسيغ الواقعَ كثيراً وله عالمُه الخاص به .

الرجلُ الواقعي :
قليلُ الحلمِ والخيال
يتصفُ ببعضِ القسوة
يميلُ أسلوبُه إلى الجفاء
لعقلِه الدورُ الأساسي في قراراتِه
لا يعتمد على العاطفةِ كثيراً
ويعتبرُ الحبَ نوعٌ من أنواعِ الضعف
يصدرُ أحكامَه من مواقفَ واقعيةٍ بحتة .

الرجلُ الخيالي :
يجيدُ صنعَ المدنِ خيالاً
وخيالُه طريقةٌ مثلى للهربِ من واقعٍ لا يتقبله
له عالمُه الخاص الذي لا يمتُ للواقعِ كثيراً

يعيش في عالمٍ من المستحيلاتِ التي لا تتحقق إلا خيالاً .

الرجلُ القاسي :

لا يعترف بالإحساس

والمشاعرُ في نظرِه حالةُ ضعفٍ إنساني

يتعامل مع المواقفِ بصَلابة الجبال

يصدر أوامرَه بجبروتِ الجلاد

يخيّل إليك أن قلبَه حجر

يخيفُك الاقترابُ منه

تتحاشى اللقاءَ به وتتجنب التعاملَ معه .

الرجلُ البغيض :

يتقنُ التصرفاتِ المرفوضة

يتدخل فيما لا يعنيه

يجيد فرضَ نفسِه على الآخرين

كلامُه منفرٌ بشكلٍ كبير

لا يستخدمُ سوى الكريهَ من العبارات

ينقلُ إليك الأنباءَ الحزينةَ بفرح

والمصائبُ هي موضوعُه المفضل لديه .

الرجلُ المتحضّر :

لا يلقي للتفاهاتِ بالاً

ويترفّع عن الصغائر

يتعامل مع الأشياءِ برُقيّ ملحوظ

يتجنبُ النقاشاتِ العقيمة

ولا يجادل فيما لا يجدي

والصمتُ رفيقُه المفضّل في مواقفَ تخلو من الرقيّ .

الرجلُ المتناقض :

يفتقد الثقةَ في ذاتِه وفي الآخرين

متذبذبٌ إلى أقصى درجة

عالمُه الداخليّ لا يمتُّ لعالمِه الخارجي بصلة

يتحدث كثيراً في أمورٍ لم تحدث له

ويصف وقائعاً لم يعشها

ليس له مبادئُ ثابتة

يناقضُ نفسَه بنفسِه

وتتغيّر مواقفُه وقيمُه بتغيّر الفئةِ التي يتعامل معها .

الرجلُ النقي :

قلبُه بلونِ الثلج

وخيالهُ أخضرُ كالعشبِ النديّ

لا يتحدث إلا بالخير

ولا يتفوّه إلا بالمعروف

لا يسيئ الظنَّ بالآخرين

يلتمس لهم الأعذارَ بلا حدود

تسبقُه حسنُ النية في تعامله معهم .

الرجل الملوث :

في داخله مدينةٌ من التلوث

يدنّس الأماكنَ التي يتواجد فيها

يَبثّ سمومَه في الآخرين كالأفعى

حكاياتُه ملوثةٌ مستوحاةٌ من خيالِه المدنّس

يجيد نسجَ الحكاياتِ الكاذبة

ويتفنّن بلصقِ القصصِ بضحاياه

يكره الآخرون وجودَه بينهم

وينفرون من أماكنِ تواجدِه

وهو إن لم يجد ما يدنّسه دنّس نفسَه .

الرجلُ المستعبد :

فقد إحساسَه بالحريةِ الحقيقية

سرق منه الوقتُ الملامحَ الحقيقيةَ لشخصيتِه

اعتاد أن يكون مجردَ ظلّ

يمارس السيرَ خلف الآخرين بصمت

الانكسارُ رفيقُه الأقربُ إليه من نفسِه

يجد سعادتَه في ممارسَة دورِ التابع

ويجد صعوبةً في الاستقلال بذاته .

الرجلُ القياديّ :

لا يقبل إلا بالصف الأوّل

فالمقدمةُ مكانُه الأنسب إليه

يملك حيّزاً عظيماً من احترامِ الآخرين وإعجابهم

يصدر أوامرَه بثقةٍ وقوة

يملك قدرةً خارقةً على قيادتِهم

ويجد سعادتَه الحقيقية في إصدارِ الأوامر

ولا يرتاح إلا ببلوغِ القمةِ في كلّ شيء .

الرجلُ الذكي :

يجيد استخدامَ قدراتِه العقلية

أهدافُه واضحةٌ وواقعية

يتقنُ اقتناصَ الفرص

يتعامل مع الآخرين بسلاسة

يمتلك قدراً من الذكاءِ الاجتماعي

فالحياةُ في نظرِه معادلاتٌ حسابية

ويسعى جاهداً لحلّ معادلاتِها والوصولِ إلى حلها المناسب .

الرجلُ الغبيّ :

اصطيادُه سهلٌ للأذكياء

يجد صعوبةً في التأقلمِ مع عالمٍ خبيث

يضعُه غباؤه في مواقفَ لا يحسدُ عليها

يقع دائماً فريسةً سهلةً للآخرين

لا يفهم شيئاً حتى نفسَه

ولا يكلف نفسَه فهمَ الأشياءِ المستعصية .

الرجلُ المثقف :

يعشق القراءةَ كمحبوبته

لا تفارق الصحفُ اليوميةُ عينيه

تراه يتجول في معارض الكتبِ بنهمٍ ملحوظ

يتوسّد كتبَه أحياناً وينام الكتابُ على صدره أحياناً أخرى

يستخدم مفرداتٍ ومصطلحاتٍ خاصةً فيه

قد يشعرك وجودُه معك بنوعٍ من الملل

ويخيّل إليك حين تراه أن موسوعةً علميةً ثقافية تتجول أمامَك .

الرجلُ الوفيّ :

يحترم مشاعرَه ويخلص لها

يكره الخيانةَ بمقدارِ ما تكرهُه

في داخله مساحاتٌ عظيمةٌ من النقاء

قيمُه ثابتةٌ ومبادئُه لا تتغير

يمارس الوفاءَ كالتنفس

يموت ولا تنال الخيانةُ من إخلاصِه

تشعر معه بالأمان

وتغمض عينيك في حضرتِه بثقة .

الرجلُ الكوكتيل :
لا تعرف أيَّ الرجالِ هو
في داخله كلّ الصفاتِ الإنسانية
فهو أحياناً نقيٌّ كالطفل
وأحياناً ملوثٌ كالوحل
تراه يوماً رومانسياً يعشق الورد
وتراه يوماً آخَر واقعياً يكره الحلم
لا تعرف لشخصيته حدوداً معينة
ولا يثبت على صفةٍ واحدة
فشخصيتُه ملونةٌ بصفاتٍ متناقضةٍ تماماً .

الرجلُ المتهور :
التسرعُ رفيقُه الدائم
يحب المغامرةَ بجنون
يتخذ قراراتِه بلا تفكير
لا يتوقف كثيراً لحسابِ خطواتِه
ولا يضيّع وقتَه بالتفكير في العواقب
لديه ثقةٌ مبالغٌ فيها بقدراته
مبدأه إما أن يكون كلُّ شيء أو لا يكون .

الرجلُ الخبيث :

يظهرُ ما لا يبطن

يجيد أدوارَ البراءة

ويحسن افتعالَ الغباء

بارعٌ في انتهازِ الفرص

يتسلق الأنفسَ للوصولِ إلى مبتغاه

ويحرص حرصاً شديداً ألا يكتشف أمرُه .

الرجلُ البخيل :

ماديٌ لأقصى درجة

المالُ سيدُه الآمرُ الناهي

والذهبُ عشقُه الأولُ والأخير

لا يملأ عينيه إلا التراب

يتنازل عن كُل شيء في سبيلِ المال

يحرم نفسَه مباهجَ الحياةِ ومتعتَها

وغالباً ما يتظاهر بالفقرِ والحاجة .

الرجلُ الكتوم :

هذا النوعُ يرى ولا يتحدث

وأعماقُه عالمٌ مليءٌ بالأسرار

يحترم خصوصياتِه وخصوصياتِ الآخرين بدرجةٍ كبيرة

انزف له سرّك وأنت مطمئن

يحمل السرّ في عنقِه كالأمانة

عندما تتحدث إليه ينصتُ إليك باهتمام

ولا يأتِ الغدرُ منه أبداً .

الرجلُ المتردّد :

لا يثبت على قرارٍ معين

ولا يتوقف على محطةٍ واحدة

يفتقد الثقةَ في نفسِه كثيراً

وقراراتُه مهزوزة لحدّ كبير

ولا يمكنُه البقاء على ذاتِ القرارِ فترةً طويلة

يتأثر بآراءِ الآخرين كثيراً

ويسكن الخوفُ جزءاً كبيراً من نفسِه .

الرجلُ المهزوم :

تعاكسه الظروفُ بشكلٍ ملفت

وتلاحقه الهزيمةُ بشكلٍ مؤلم

يمتلئ حديثُه بالانكسار

تقرأ حكايةَ هزيمتِه في نظراته

فقد جزءاً كبيراً من قابليتِه للحياة

وله مع اليأسِ حكايةٌ لا تنتهي .

الرجلُ الواضح :

عيناه مرآةٌ واضحة لأعماقِه

وأعماقُه مرتعٌ خصبٌ للصدق

صريحٌ لأبعَدِ الحُدودِ

لا يستطيع الكذبَ مهما حاول

وكلُّ محاولاتِه للتلّون فاشلة

يجد صعوبةً في التعاملِ مع الخبثاءِ من الناس

ويشعر بألمٍ نفسيٍّ بالغ عندما يكتشف أنه كان ضحيةَ عمليةِ كذبٍ مدبرة .

الرجلُ الهادئ :

هدوؤه يثير غضبَك

تراه راكداً وأنت تشتعل

فاقداً لشهيةِ الغضب

لا يهزّه ولا يفجّر غضبَه شيء

يتحدث بصوتٍ بطيءٍ وخافتٍ

يخيّل إليك عندما تحدثُه أنك أمامَ جبلٍ من الثلج

تظنُّ أحياناً أنهُ يغطّ في سباتٍ عميق

وتتمنى بينك وبين نفسِك أن تصرخَ فيه كي توقظَه .

الرجلُ المُدَبلج :

لا يمتُّ لنفسِه بصلة

صوتُه لا يشبه وجهَه

ووجهُه لا يعبرُ عن نفسِه

وحركاتُه مفتعلةٌ ومختارة ومدبرة

فكل ما فيه مزيف حتى إحساسُه

يخيّل إليك أنه يعيش بأكثرَ من شخصية وله أكثرُ من عالَم .

الرجلُ العنيد :

يتمسك برأيهِ حدّ الصلابة

ولا يتعامل بديمقراطية في الكثيرِ من أمورِه

لديه في نفسِه ثقةٌ مبالغٌ فيها

ولا يعترف بقراراتِ سواه

ولا يميل إلى المناقشاتِ الجماعية كثيراً

وغالباً ما يخضع له الآخرون لمعرفتهم السابقة بعنادِه .

الرجلُ الشقيّ :

مراهقتُه لا تفارقه أبداً

لا يكبر مهما كبر

ولا يعرف النضجُ له طريقاً

يعيش كلّ الفصولِ بوقتٍ واحد

يتعامل مع الأشياء بإحساسٍ لا يشبه عمرَه الحقيقي

ويبقى الطفلُ في داخلِه المحرّكَ الأولَ له .

الرجلُ التقيّ :

يخاف اللهَ ويتّقيه في كلّ تصرفاته وأمورِ حياتِه

في داخلِه مساحاتٌ بيضاءُ من الإيمان
يتجنّبُ الكبائرَ ويترّفع عن المعاصي
يأمر بالمعروفِ وينهى عن المنكر
يكرهُه الشيطانُ ولا يعرف له طريقاً .

الرجلُ الحزين :
نسي الفرحَ منذ زمنٍ بعيد
وتناسته السعادةُ منذ زمنٍ أبعد
امتلأ بالحزنِ حتى تضخم
ومارس الهمَّ حتى أدمنَه
تراه يسير بلا طريق
ويعيش بلا معنى
صوتُه مكسور ووجهُه غائم
وللذكرى المرتعُ الأعظمُ فيه .

الرجلُ المغرور :
يشبه الطاووسَ كثيراً
يمتلئ بالفراغِ في معظمِ الوقت

يعتقد أن الغرورَ نوعٌ من أنواعِ الوجاهة
يسير على الأرض كأنه أولُ وآخِرُ البشر
يتعامل مع الآخرين بترفّع
يظن ألا شيءَ يوازيه
وأن له حجماً فاق كلّ شيء .

بطولةُ الحذاء

(لا تمارسي دورَ الحذاءِ في حياتِه؟

كلّما فكر في الرحيلِ إلى الأخرى . . . . خلعكِ!)

ليس الغباءُ أن تعيشَ عمرَكَ كلَّه تحلم بحكايةِ حبٍ جميلة تكون أنت بطلُها الحقيقيّ والوحيد . . وتبحث في الوجوهِ عن أبطالِ حكايتِك ، وترسم في خيالِك وفوق جدرانِ أمانيك طقوسَها وتضاريسَها وفصولاً دافئة تدثّر حلمَ عمرِك ،

فليس أروعَ من أن تكونَ لك حكايةٌ مختلفة ، حكايةٌ خاصةٌ بك أنت وحدَك ،

حكاية لا تشبه سواك ، حكاية يرافق الفشلُ أحداثَها إذا أدّى بطولتَها إنسانٌ آخَر ،

حكايةٌ لا تليق إلا بك أنت .

لكن الغباءَ أن يصلَ تعلقُك بحكايةٍ ما إلى قبولِ أدوارٍ لا تليق بحلمِك ،

ولا تتناسب مع كميةِ الصدقِ في أعماقك ، وتحمّلُك من التلوثِ ما لا يليق بمساحاتِ النقاءِ فيك . وتهزُّ عرشَك بك .
وتسقط حكمَ نفسك منك
ولا يتبقّى لك سوى محاولاتٍ فاشلة . . لتلوينِ الدوائرِ السوداء الممتدةِ بينك وبينهم .

فلا تمنحهم الفرصة . . أنْ يختاروا لك أدوارَك في حكايتهم ، وينتقوا لك تفاصيلَك معهم
ويسوّروا حدودَ أحلامِك بهم ، ويكسروا مصابيحَ خيالِك بحجارتِهم
ويطفئوا أنوارَك ، ويحولوا ضياءَك إلى عتمةٍ ، ونهارَك إلى ليل ، وإقبالَك على الحياةِ إلى إدبار .

لا تمنحهم الفرصة أن يستعمروك باسمِ الحب ، ويشعلوا نيرانَهم بك
ويعيثوا الخرابَ في مدنِ أحلامِك ، ويسرقوكَ منك . . ويحولوك إلى ضحيةٍ في قصةِ حبٍ
أنتَ الطرفُ الأرقى والأنقى فيها .

لا تمنحهم الفرصة أن يسجنوك في دوائرِهم المغلقة . . ويحولوك
إلى محطاتِ انتظار
فتغفو فوق طرقاتِهم تحلم بصدفةٍ تأتي بهم . . وتقضي سنواتِك
في انتظار أن يستقرَّ قطارُهم في محطتِك . . وتستيقظَ على
صفيرِ قطارِ العمر في المحطةِ الأخيرةِ من أيامِك .

وعندها قد لا يتبقى لك سوى القليل من العمر للكثيرِ من
الندم . .
وتتمنى لو يعود بك الزمان فتبدأ الحكايةَ من جديد . . وتنتقي
الوجوهَ من جديد
وترسم تفاصيلَ أخرى . . وتكتب فصولاً مختلفة
وتكون بطلاً من نوعٍ آخَر!

فانتبه!
دقِّق جيداً في طبيعةِ دورِك في حياتِهم . . فربما كنت تؤدي دورَ
الحذاءِ في حياتِهم
وأنت لا تعلم!
فالبعضُ يستلذ بدورِ الحذاء . . . ظناً منه أنه يحميهم من
أشواكِ الطريق .

مؤشراتُ نسيانها

(حين يطفح الكيل بنا . . . قد ننسى . . ويسبق النسيان مؤشرات)

لانتهاءِ أمرِ الرجلِ لدى المرأةِ مؤشراتٌ منها :

عندما تكُف عن تجاهلِه وتتعامل معه كالآخرين تماماً .

عندما يتحول الخوفُ عليه إلى الخوف منه .

عندما لا تتعمد إثارةَ انتباهِه بغيابٍ متعمّد .

عندما لا تحرص أن تكونَ أمامه بأفضلِ حالاتِها .

عندما لا تتظاهر بالحزنِ كي تثيرَ قلقَه عليها .

عندما لا تتفننَ في إثارةِ غيرته بكيدِ الأنثى .

عندما لا تمارس انتظارَه بقلقٍ وترقُّبٍ وظنونٍ نسائية .

عندما لا تحصي عددَ أيام غيابِه وعددَ المتبقي لعودتِه .

عندما لا تتبع خطواتِه نحو نساءٍ أخريات .

عندما لا تشرح كتاباتِه وكلماتِه وما يقصد وما لا يقصد .

عندما لا تهتم بوجودِ أخرياتٍ في محيطِه .

عندما لا تتهرب بعد الفراقِ من رؤيةِ بقاياه .

عندما لا تمتلئ عينيها بالدموعِ إذا باغتتها بعد الفراقِ ذكرى منه .

عندما لا تتجنب الحديث عنه أمامَ الأُخريات .

عندما لا تنتظر اتصالَه كهديةِ السماءِ في ليلةِ حنين .

عندما لا تهتم كثيراً بالصادرِ إليه والواردِ منه .

عندما تتوقف عن تكرارِ النظرِ إلى هاتفِها كلّما دخلت أو خرجت .

عندما لا تكثر الالتفاتَ حولها قبل الاتصالِ به .

عندما لا تغلق الأبوابَ عند الحديثِ الهاتفيِّ معه .

عندما لا يخفق قلبُها بشدة وهي تسمع صوتَه أو تشم في المكانِ عطرَه .

عندما لا تتغير نبرةُ صوتِها وألوانُ وجهِها في وجودِه .

عندما لا تهتم كثيراً بنوعيةِ هداياها إليه وطريقةِ تغليفها .

عندما لا يفجّر بردُ المطرِ في قلبِها دفءَ الحنينِ إليه .

عندما لا تتمنى أن تكونَ تحت المطرِ بصحبتِه .

عندما تتوقف عن رعبِ السؤالِ ماذا فعلت الأيامُ بقلبِه .

عندما يستسهل لسانها الدعاءَ عليه بعد الدعاءِ له .

عندما يطاوعها قلبُها في التخلصِ من بقاياه .

عندما لا تتردَد في مشاركتِهم أكلَ لحمِه ميتاً .

عندما لا تفكر كثيراً فيما يجب أن تكتبَ وما لا يجب أن تكتب .

خطأ

(منَ الخطأ أن تحاولَ إصلاحَ الأخطاء المحيطة بك
بينما الخطأ الأكبرُ والحقيقي في داخلِك أنت)

خطأ . .
أن يمنعَك الخوفُ والخجلُ والتردّد من قولِ لا بأعلى صوتِك
في الموقفِ الذي يتعلق بحياتك ومستقبلِك
والوقتِ الذي يجب أن تبتعدَ فيه تماماً عن كلمة نعم
وألا تقول فيه سوى كلمة لا .

خطأ . .
أن تخدعَ نفسَك وتنغمسَ في أوهامِك وتغلقَ عينيك أمام نورِ
الواقع
وتحاولَ أن تخفي شمسَ الحقيقةِ بأناملِك
كي تتيحَ لنفسِك فرصةَ الاحتفاظِ بأحاسيسَ ومشاعرَ لا تمتّ
للواقعِ بصلة .

خطأً . .

أن تعرضَ نفسَك وسنواتِك وصحتَك في المزادِ العلني

من أجلِ إنسانٍ لا يسمعك ولا يراكَ

ولا يشعرُ بإحساسِك الجميلِ تجاهَه

ولن يشعرَ يوماً بك .

خطأً . .

أن تتوقفَ الحياةُ في عينيك

وتكفُّ الأرضُ عن الدورانِ في لحظاتِ فشلِك

وتفقد الأملَ في غدٍ جديد وتظنُّ أن العالمَ قد انتهى برحيلهم .

خطأً . .

أن تضيِّعَ وقتَك في محاولةِ إصلاحِهم

وتحاولَ جاهداً إعادةَ ترتيبِهم وترميمِهم

وتنطفئَ من أجلِ إشعالِهم

وتتجاهلَ سنواتِك التي تمرّ أمامَ عينيك كالبرق .

خطأ ..

أن تمتلئ ببقاياهم

وتتضخمَ بذكرياتك الميتةِ معهم

وتقعَ فريسةً للهمّ والحزن

وتعاهدَ نفسَك على ألا تنساهم

وألا تحبَ بعدَهم

وتجرد نفسَك من حقِك في بدايةٍ جديدةٍ وإحساسٍ جديد .

خطأً ..

أن تغرسَ ورودَك الحمراءَ في طريقهم

وتقضي عمرَك تكتب رسائل الحبِ لهم

وتسهر الليل تحصي النجومَ في غيابِهم

وأنت تدرك أنهم لا يجيدون لغةَ الوردِ والرسائلِ والسهر .

خطأً ..

أن تتعمّدَ الوقوفَ خلفهم كي تعزّزَ ثقتَهم بأنفسِهم

وتثبتَ لهم أنهم الأفضل

وتوهِمُ نفسَك بأنك العظيمُ الذي يقف خلفَ نجاحِهم .

خطأ ..

أن تصمتَ والمبادئُ الجميلةُ تموت أمامَ عينيك

والقيمُ السامية تُجلد أمامَك

وتختار بكاملِ إرادتِك أن تكونَ ذلك الشيطانُ الأخرسُ

الساكتُ عن الحق .

خطأ ..

أن تسدَّ أذنيك وتغمضَ عينيك بإرادتِك

وتتجاهلَ عيوبَهم الواضحة أمامَك كالشمسِ

فقط كي تبقى صورتُهم الجميلةُ في داخلِك .

خطأ ..

أن تلغي شخصيتَك من أجلهم

وترتدي ألوانَهم المفضلة

وتأكل طعامَهم المُفضل

كي تثبتَ لهم الشبهَ المفتعل بينك وبينهم في الأذواقِ والميول .

خطأ ..
أن تفقدَ ثقتَك بنفسِك وتغلقَ أبوابَ السعادةِ في وجهك
وتحول نفسَك إلى أتعسِ إنسانٍ فوق الكرةِ الأرضية
فقط لأنّ أحدَهم عجزَ عن الشعورِ بإحساسِك الصادقِ نحوه
ولم يلمح جمالَك وصدقَك وإخلاصَك الذي أبهرت به الجميع .

خطأ ..
أن تمدَّ لهم يديك وتطرقَ أبوابَهم في لحظاتِ ضعفِك وضياعك
وتبكي بمرارةٍ أمامَهم وأنت تدرك تماماً أنهم كالموتى
لن يبصروك ولن يسمعوك
ولن يشعروا بانكسارِك ومرارةِ بكائِك خلفهم .

خطأ ..
أن تغمضَ عينيك بأمانٍ واطمئنان
وتسيرَ كالأعمى خلفهم
برغم يقينِك التام أن طريقَهم لا يؤدي إلا إلى الضياعِ
وأن دروبَهم لا تنتهي إلا بمأساة .

على غفلةٍ منا

(على غفلةٍ منا تسربنا من أشياء وتسرّبت منا أشياء)

على غفلةٍ منا!
تغير الزمانُ ، فلم يعد هو الزمانُ الذي عشناه وعشقناه
وترك بصماتِه في أعماقِنا وتركنا بصماتِنا على سويعاتِه
وتغيّر المكانُ فلم يعد هو المكانُ الحميم
الذي عرفنا واعتدنا ونزفنا طفولتَنا
وحكاياتِنا وأحلامَنا على ترابه .

على غفلةٍ منا . .
فقدنا الكثيرَ من الأشياء
وتنازلنا عن الكثيرِ من الأشياء
ووجدنا أنفسَنا فوقَ بقعةٍ من واقع لا تمتّ لأحلامِنا بِصلة
وجسّدنا أدواراً لا تناسبنا ولا تحملُ ملامحَنا
واحتسينا الخضوعَ من كأسِ الظروفِ قطرةً قطرة .

على غفلةٍ منا . .
تغيرت الوجوهُ من حولنا
وكثرت الأقنعةُ أمامنا وتلوثت الأعماق
وسال الوحلُ كالأدويةِ في طرقاتِ علاقاتِنا الإنسانية
وساءت النوايا بلا حدود .

على غفلةٍ منا . .
فقدنا أشياء وفقدَتنا أشياء
ودمرنا أشياء ودمرَتنا أشياء
وضاعَت أحلامٌ وضاعت أوطانٌ ونكست أعلام
وفقدنا شهيةَ الحياةِ والاستمرارِ والبقاء .

على غفلةٍ منا . .
أصبحنا على الرفِّ المُهملِ من الحياة
ووجدنا أنفسَنا خارجَ سياجِ حكايةٍ كانت لنا يوماً وطناً
وخارج حصونِ مشاعرَ كانت لنا ذاتَ يومٍ أملاً
وخفتت أنوارُنا كثيراً .

على غفلةٍ منا . .
بهتَ عالمُنا الملون
وانطفأت شموعُنا المضيئة وفقد الحبُ هويته
وذبل الوردُ فوق أسوارِ أحلامِنا
وفقدنا شهيةَ الكتابةِ وشهيةَ الرسائلِ وشهيةَ الانتظار
وأشياء أخرى كنا ذاتَ يومٍ نمارسها بطفولةٍ واشتهاء وربما غباء .

على غفلةٍ منا . .
احترقت مدنُ أحلامِنا واحترق أطفالُ دفاترنا
وخمدت نارُ الحنينِ إليهم وهجرنا أطلالَهم
وأسدلت ستائرُ المشهدِ الأخير
وبنى النسيانُ أعشاشَه في داخلنا .

على غفلةٍ منا . .
استسلموا واستسلمنا للرحيل
فرحلوا ورحلنا ، غابوا وغبنا
وفرَّت منا خلفهم أشياء
كنا نحتفظ بها في قفصِ الذكرى وصندوقِ الذاكرة

ففرّ الأمانُ وفرّ الحنين

وبقينا أسرى أسوارِ حكايةِ إحساسٍ باءت بالفشل .

على غفلةٍ منا . .

امتلأنا بالخوف

وامتلأنا بالذل وامتلأنا بالحزنِ وامتلأنا باليأس

وشهدت أعيُنَنا سقوطَ مدنٍ من العزةِ والكبرياء

قضينا أجملَ العمرِ وأكثرَ العمر في تشييدها .

على غفلةٍ منا . .

مرّت سنواتُ العمرِ . . كبرنا

تغيرت ملامحُنا في المرآةِ وتضخّمت بنا السنوات

وجفّت أشجارُ أيامِنا ونزفنا صحتَنا كالماء

وأصبحت تفاصيلُنا وطقوسُنا تاريخاً وارتفع صفيرُ القطارِ الأخير .

على غفلةٍ منا . .

رحلت أشياءُ وجاءت أشياء

وتغيرت أشياءُ واختفت أشياء

وارتفعت أشياءُ وسقطت أشياء

وبُنيت أشياءُ وانهارت أشياء

وضاعت أشياءُ وسُرقت أشياء

وتطهّرت أشياء ودُنّست أشياء .

هروب

(بعضُ الهروبِ كرامةٌ وحياة أخرى)

اهرب ،

إذا كان في هروبِك حياةٌ جديدةٌ لكبريائِك

وكرامتِك التي أهدرت تحت مسمّياتِ الحبِ والحنينِ والغيرة

ومصطلحاتٍ أخرى مزخرفةٍ لا انتهاءَ لها

اهرب ،

إذا شعرتَ بأن الحزنَ بدأ ينسج خيوطَه حولَ قلبِك النقيّ

ويخنق بقايا الفرحِ فيك وبأنهم أصبحوا مصدراً عظيماً لهذا الحزن .

اهرب ،

إذا شعرتَ بأن إحساسَك تجاههم غباء

وخيالَك بهم غباء ولهفتَك عليهم غباءٌ لا يفوقه غباء

وبأنك بدأت تتحول مع الوقتِ إلى مهرجٍ مضحك .

اهرب ،
إذا شعرتَ بأن المنطقَ يرفض إحساسَك
وبأن قيمَك ترفضُ إحساسَك
وبأن نقاءَك يرفض إحساسَك
وبأن إحساسَك يرفض نفسَه .

اهرب ،
إذا باءَت محاولاتُك للوصولِ إلى قلوبِهم بالفشلِ
وباءَت محاولاتُك لتجاهلهم بالفشل
وباءَت محاولاتُك لنسيانِهم بالفشل

اهرب ،
إذا ضاق عليك الحلمُ وضاق عليك الأمل
وضاق عليك النبضُ وضاق عليك المكان
وضاعت ملامحُ الزمانِ في عينيك كثيرا

اهرب ،
إذا أكسبوك عاداتِ الحزنِ

وفتحوا قابليتَك للألم
ودرّبوكَ على الغُبن والانكسار
وعلموكَ البكاءَ بلا انتهاء .

اهرب ،
إذا شعرتَ بأنك فجرت ينابيعَ الغرور في داخلهم
وبأنك ضخّمتهم حَدّ الانفجار
وتقزّمتَ أمامَهم حَدّ التلاشي
فأصبحوا أضخمَ من أن يروك أمامَهم
وأصبحتَ أصغرَ من أن تراهم .

اهرب ،
إذا لاحظتَ أنك بدأت تتلوث كي تصلَ إليهم
وبدأت لا تشبه نفسَك كي ترضيهم
وبدأتَ ترقص فوق النارِ كي تبهرَهم
وبدأت تخون كي تلفت انتباهَهم .

اهرب ،
إذا أصبح ليلُك في بُعدِهم ناراً عظيمة
وأصبحَ يومُك معهم ناراً أعظم
وأصبحت تضاريسُ وقتِك وسويعاتِه معاناةً لا تنتهي

اهرب ،
إذا اكتشفت أن شيئاً ما فِي داخلِك بدأ يموت ،
وأن شيئاً ما فيك بدأ يذبل كالوردِ
وأنك بدأت تنتهِي كالسرابِ في آخرِ الطريق

اهرب ،
إذا لاحظتهم يتلذذون بإذلالِك
ويتعمدون نكرانَك
ويقفزون فوق رُفاتِ حلمِك الجميل بهم
وكأنهم أصدروا حكماً خفياً بإعدامِك .

اهرب ،
إذا لمحت آثارَ البكاءِ عليهم فوق وسادتِك

أو شعرتَ بسمّهم يسري في عروقِ قلبِك
أو اكتشفت خنجرَهم الغادرَ في ظهرِك المطمئنِ لهم .

اهرب ،
إذا سمعتهم يتهامسون بما ليس فيك
ويلصقون بك من التّهمِ ما لا تعلم
ويقذفونك بالباطل ويرمون براءتَك بذنبِ الذئب
اهرب ،
إذا أصبحَ إحساسُك فانوساً مشتعلاً في عينيك
وأصبح صوتُك المرتعش لا يعبّر عنك
وأصبح صمتُك المصطنعُ لا يسترُك .

اهرب ،
إذا طال انتظارُك فوق محطاتِ صراعِهم
ولمحتَ قطاراتِ أيامِك تفرّ أمامَك كالجواد الغاضب
وشعرت بألا شيءَ بقي معك سوى ظلّك المنطفئ .

اهرب ،

إذا شعرت بأنهم أصبحوا يسيئون فهمَك

ويمزقون تاريخَك ويشوهون عراقةَ إحساسِك

ويطفئون مصابيحَ طريقِك إليهم

اهرب ،

إذا شعرت بأن نفسَك لا تستحق منك كلَّ هذا الشقاء

وبأنهم لا يستحقون منكَ كلَّ هذا الإحساس .

حكايات

(نحن مجموعةُ حكاياتٍ وبعضُ الحكاياتِ عمر)

حكايةٌ كالميلادِ
نترقبها بلهفةٍ ونشهد ولادتَها بفرح
ننتقي لها كلَّ ما هو جميل ونُدللها كالطفلِ الوليد .

حكايةٌ كالجنين
نحملها في رحمِ أحلامِنا
نستشعر نموَّها بنا ونتحسّسُها بأملٍ
ونترقب لحظةَ ولادتِها واقعياً .

حكايةٌ كالموت
تلفظ أنفاسَها بين يدينا
وتنتهي معها كلُّ الأشياءِ
وتتوقف بعدَها كلُّ ملامحِ الحياة .

حكايةٌ كالجبال
نحملها على ظهورِنا بكل ثقلها ونتعثرُ في السيرِ بها
وننحني بها قبل الأوان .

حكايةٌ كالفرح
تأتي ملونةً بأطيافِ البهجة
تذيقنا الإحساسَ بالفرحِ الجميل
وتسقي عطشَ أيامِنا بقطرةِ أمل .

حكايةٌ كالصباح
تضيئنا كالشمسِ
وتأتي كإشراقةٍ جديدة وبدايةٍ جديدة لكلّ الأشياءِ حولنا .
وتبث بنا من الدفء الكثير!

حكايةٌ كالمساء
تخيّم على قلوبِنا بألمٍ ،
تبدأ بحميمية دافئة وتنتهي بظلمةٍ قاتمة
وتنسج أسوارَ الظلامِ من حولِنا .

حكايةٌ كالحلم
لا نشبع منها أبداً
تبدأ برعشةِ هدبٍ وتنتهي بغمضة عين
وتتلاشى كقطرةِ الماءِ
تحت شعاعِ الشمس .

حكايةٌ كالمطر
تتساقط علينا كالرحمةِ
وتغسل جفافَ أعماقِنا كالغيث
وتزيل من رواسبِ حزنِنا الكثير .

حكايةٌ كالمرض
تتسلل إلى أجسادِنا
تمنحنا الشحوبَ وتنال من صحتِنا الكثير
وتتركنا خلفها بقايا إنسان .

حكايةٌ كالهزيمة
تحفرنا ببصمةِ الفشل

ونعود منها نجرُّ أذيالَ أحلامِنا
بخيبةٍ بحجمِ العمرِ كله .

حكايةٌ كالنصر
تزيل كلَّ معالمِ الانكسارِ بنا
وتشعرنا بنشوةِ الوقوفِ بعد مراحلَ من الخذلانِ
ونرفرف معها كالعَلم عالياً .

حكايةٌ كالخاتمة
تنتهي فتُسدَل كلُّ الستائرِ في داخلِنا
وتُعلَن النهايةُ حولَنا .
ويعلو ضجيج التصفيق بنا!

حكايةٌ كالزلزال
تهزنا بقوةِ الزلازل
تقتلعنا من جذورِنا
وتزلزلنا فرحاً وعشقاً وغيرةً وانكساراً .

حكايةٌ كالطوفان . .

تتفجر فيِ مدنِ أحلامِنا

ترعبنا كثيرا

فتُغرق الأحلامَ الآمنةَ بنا وتغرقنا معها .

حكايةٌ كالنار

تشتعل بأطرافِ العمر

فتحرق منا ما تحرق

وتشوّهُ بنا ما تشوه

وتُخلّف لنا الرماد .

حكايةٌ كالخناجر . .

تستقرُّ بنا على غفلةٍ منا

تزعزع إحساسَنا بالأمان

وتُدْمي بنا ثقتَنا بالآخرين .

حكايةٌ كالأقنعة

تبدأ وتنتهي

ولا نلمح وجهَها الحقيقيْ إلا عند السقوط
وقد لا نلمحه أبداً .

حكايةٌ كالغصّة
تستقر في أفواهِ أمانينا
ونبتلعها بمرارةِ المغبون
وتبحر كالسكينِ السّامةِ بنا .

حكايةٌ كاللعنة
تبقى ملتصقةً بنا
وترفرف كالبومةِ على أسوارِ عمرِنا
وتفشل كلُّ محاولاتِنا للتخلصِ منها .

حكايةٌ كالطفولة
تحمل عبقَ الماضي بين طياتِها
نتذكرها بحنين
ونعود إليها كلّما شدّنا إلى النقاءِ حنين .

حكايةٌ كالأرض
نغرس بها كلّ أحلامنا وأمانينا
ونسقيها آخر قطرةٍ من ماءِ أعيننا
وقد تخذلنا عند الحصاد كثيراً .

حكايةٌ كالعِرض
نحفظها كالعمر
ونسترها كالسرّ
ولا نسمح بالاقترابِ منها
ودونها العمرُ كلّه .
حكايةٌ كالوطن
نغادرها كالطيورِ
ونرحل عنها كالأرواحِ الجريحة
ومهما غادرنا وطال الغياب . . نعود .

حكايةٌ كالعمر
تكبرُ معنا وتشيخ معنا
وتتوقف معنا وتموت معنا .
وتخرج من الحياة معنا!

أنثى!

(علّموا الوردَ الأحمرَ الكذبَ فلا تثقي في الوردِ الأحمرِ كثيراً)

جنّبي نفسَك الألم!

فلا تقارني بين رجلٍ قاسمكِ حكايةَ حب

ورجلٍ قاسمَكِ سريرَ ليل

ورجلٍ قاسمَكِ ورقةً رسمية

فالأول منحكِ الحلم

والثاني منحكِ العار

والثالث منحكِ الأمان .

لا تتعاطفي معه لدرجةِ

تصديقِ كلّ الأسبابِ التي أدت إلى فشلِ علاقةِ حبٍ حرصتِ

على نجاحها معه

فلم يكن سوى رجلٍ فشل في الاحتفاظِ بك .

لا تصدقي أن غفرانَكِ لزلاته

يزيد من حجمكِ في عينيهِ وفيه

فقد انتهى يا صديقتي زمن الكريمِ الذي (إن أنتَ أكرمتَهُ

ملكتَه)

وبدأ زمنُ اللئيمِ الذي (إن أنت أكرمتَهُ تمردا) .

لا تنساقي خلف رومانسيةِ زمنٍ لا تنتمين إليه

ولا تنتظري منه أن يمرّ على أبوابكِ بغيرِ حاجة

ففي زمانكِ تسبق الحاجةُ إلى الأبوابِ كلَّ شيءٍ حتى الحب .

لا تمارسي من غباءِ الغياب

ما يدمّركِ قبل أن يدمّرَه

على أملِ أن يفقدَ خلفكِ عقلَه

فربما كان قيسٌ آخرَ العشاقِ الهالكين باسم الحب .

لا تحققي أمنياتِه

للدرجةِ التي تشعرُه

أنك مغارةُ علي بابا أو المصباحُ السحريّ

فالرجلُ الذي يعتاد الأخذَ بلا عطاء
يستصعب العطاءَ بمقدارِ ما يستسهل الأخذَ .

لا تحددي وقتاً معيناً للحب
كي لا يتحوّل مع تكرارِ التجربةِ إلى كائنِ تجربة
فلا يسيل لعابُه للحبِ إلا في ذلك الوقت .

إذا رحل ،
فاعلمي أن رحيلَه آخرُ اهتماماتِ الحياة
ولن تتوقفَ الحياةُ خلفَه
فاحترمي استمرارَ الحياةِ حولَكِ وعيشيها .

لا تجامليه بتناول التفاحةِ المسمومةِ من يدِه
على أملِ أن ينقذوكِ الأقزامُ السبعة
فسمومُ هذا الزمانِ لا تسعف الأقزامَ من إنقاذِ عاشقةٍ نقية .
وقافلةُ الرجالِ لا تتوقف عن السير
فحاولي ألا تكوني
جزءاً مهملاً في القافلة .

لا تمارسي الغيابَ المتعمّد
فلن يفتقدَكِ في ليلته الظلماء
ففي الليالي الظلماءِ تمارَسُ كلُّ الأشياءِ إلا الافتقاد .
معظمُ حكاياتِ الحبِ تنتهي بالفشلِ والفراق
وحكايةُ الحبِ التي لا تفشل قبل الزواجِ تفشل بعدَه .

لا تجعلي الحبَ أقصى أمانيكِ منه
ولا تطمحي معه لحب بلا أمان
لأن الأمانَ كالنَسبِ للحب
فالحبُ بلا أمانٍ كطفلِ الحرام
يُلقى على قارعةِ الطريق
لا مستقبلَ له ولا هوية .

إذا أحببتِ السقوطَ في الحفرة
فاسقطي بها بأعينٍ مفتوحة
لأن الكثيرَ من الرجال
يتذوقون في القُبلةِ الأولى
أخلاقَ المرأةِ وتربيتَها
قبل أيَ شيءٍ آخر .

دميمةٌ جداً هي الخيانة
فإذا تحتَ وجهها به يوماً لا تتجاهليها
لأنَّ الاحتفاظَ برجلٍ خائنٍ كالاحتفاظِ بجثةٍ عفنة
مهما نجحتِ بإخفاء ملامحِها
ستفشلين بإخفاء رائحتِها .

إن كان أقلَّ منك قامة
فلا تقصُري ولا تنحني له للدرجةِ التي تخفيكِ من أمامه
فيرى كلَّ النساءِ الواقفاتِ خلفَكِ ولا يراك .

إذا أردتِ أن تبقى الصورةُ ملونةً
فلا تلعبي معه تحتَ مَطرِ المواقفِ طويلاً
فمطرُ المواقفِ يزيل أصباغَ الرجال
قبل أصباغِ النساء بمراحلَ .

لا تأمني للحلمِ في حالِ تحقيقه
ولا تبصقي في وجهِ الواقع بنشوةِ منتصر
فلا استيقاظُ الحلمِ يدوم
ولا غفوةُ الواقع تستمر طويلاً .

ربما المرأةُ التي تحتفظ برجلٍ واحدٍ لا يستحق
تخسرُ عمرَها لكنها تكسبُ سمعتَها ،
والمرأةُ التي تعدِّدُ رجالَها
قد تكسب عمرَها لكنها تخسرُ سمعتَها
فلا تكوني الثانية .

توقفي عن تحصينِ نفسِكِ بالأوهام
واكبري على مواساةِ جرحِكِ بالخديعة
بأن حياته ستتوقف بعدَكِ
وأنه لن ينساكِ وسيشمُّ عطرَكِ في كُل تفاصيله
وأن الندمَ عليكِ سينال منه يوماً بقسوة
فلا حياتُه ستتوقف
ولا هو من النادمين
وبسهولةٍ سيجد ، فهذا زمنُ النسيانِ والنساء .

لا تقنعي منه بأمومةٍ ورقية
ولا تنجبي أطفالَكِ بالدفاتر
فأطفالُ الدفاترِ لا يكبرون إلا بك

ولا ينطقون كلمة : ماما مهما كبروا .
إذا أدار ظهرَه لكِ بإرادته
فلا تجمعي الفتاتَ خلفَه
ولا تعيشي على تفاصيلَ ماضية
ترفّعي عن تناولِ الذكرياتِ القديمة
كوجبةٍ أساسيةٍ بائتة .

لا تكرري أخطاءَ الحبِ بسذاجة
وتصدقي أنّ أصابعَ اليدِ ليست واحدة
فأحياناً تكون واحدةً وطبقَ الأصلِ تماماً .
لا تعرضي أحلامَك الجميلةَ عليه للبيع
فلن يعرفَ قيمتَها وسعرَها الحقيقي إلا أنتِ
لأنّ الأحلامَ باهظةُ الثمنِ لدى أصحابِها فقط .

لا تظني أن لونَ الحبِ ما زالَ أبيض
وأن الوردَ الأحمرَ ما زال رسولَ الحب
أحرقي الصورةَ في قمةِ جمالِها
قبل أن تنال مواقفُه منها

فالصورُ المحترقة

أجملُ من الصورِ المهزوزةِ كثيراً .

ترفّعي عن التخبطِ في دائرةٍ ملوثة

واكبري على لعبةِ ملء فراغِه بآخر

حتى لا تتحولي إلى طُعم لذيذ

لرجلٍ بارعٍ بالاصطيادِ بالماءِ العكِر .

وكوني على يقين ان الرجال يعلمون جيداً

أن المرأةَ التي تتنازل عن كرامتِها باسمِ الحب

تتنازل مع الوقتِ عن كُل شيءٍ حتى الحُب .

وان الفرقُ بين زوجةِ الرجلِ وعشيقتِه

أنه يدخل على زوجتِه من الباب

ويدخل على عشيقتِه من كُل الأماكنِ إلا الباب .

يحدث أحياناً

(يحدث أحياناً أن تحدث أشياءُ لم تكن يوماً بالحسبان)

يحدث أحياناً . . أن تقومَ بعملٍ ما
وتشعر بالفخرِ بنفسِك لقيامِك بهذا العمل
وتتضخّم بنشوةِ الإعجابِ بأعمالِك
وتتمدّد بطولِ هذا الكونِ وعرضِه
وتبحث عمنْ يُثني عليك
ثم تلتقي أحدَهم
فيتعمد الإقلالَ من أهميةِ ما قمتَ به
ويسقطُك من برجِك بكلمةِ حقدٍ واحدة .

يحدث أحياناً . . .أن تمارسَ دورَك في حكايةٍ ما
فتتقنَ الأداءَ وتُتقن الدور
وتقف بكاملِ فرحتِك

بانتظارِ تصفيقِهم الذي يمنحُك قلادةَ الجدارة
فتكتشف أنك كنتَ تؤدي دورَك
في حكايةِ أنتَ بطلُها الوحيد
وأنك كنت تمثلُ وحدَك أمامَ نفسك
وأنهم لم يشعروا يوماً بك ولن يشعروا .

يحدث أحياناً . . .أن تعودَ إلى نفسك
وتستلقي تحتَ أشجارِ التذكّر
لا أحدَ معك سواك
وتنزفَ تعبَك فوق ترابِ الذكرى
وتغمضَ عينيكَ بعمق
وتسافرَ إلى مدنٍ تعشقها
ومحطاتٍ تشتهي الوقوفَ عليها
فتفتح عينيك وفي فمِك طعمُ الحلمِ الجميل
وقبل أن يفزعَك ضوءُ الواقع
تتذكر أنك كنتَ في لحظةِ حلمٍ جميلٍ لكنه عابر .

يحدثُ أحياناً . . أن تسيرَ وحدَك بصحبةِ نفسِك
فتتمنى لو أن أحدَهم كان معك
يسير بجانبِك ملتصقاً بحلمِك
يُثير عبقَ الحبِ من حولِك
ويملأ وجودَك بفرحِ وجودِهِ
ويحدثُك بلغةِ الشوق
ويلوّن أيامَك المقبلة بالأمل
ويرسم أمامَ عينيك جنةً فوق الأرض .

يحدث أحياناً . . .أن تمسك بالورقةِ والقلم
وتفكر بكتابةِ رسالةٍ ما
إلى إنسانٍ يهمُك أمرُه
وتتمنى بينَك وبينَ نفسِك
أن يهمَّهُ أمرُك
وتبحرَ في أحشاءِ اللغة
بحثاً عن لغةٍ تناسبُ إحساسَك
وتبعثر الحروفَ بحثاً عن كلمةٍ تعبّر عنك
وقبل اكتمالِ الكلمةِ الأخيرة من الرسالة

تتردّد وتتراجع

وتمزّق الورقةَ خوفاً من ألا تكونَ رسولَك المناسبَ إليه .

يحدث أحياناً

أن تشتاق إلى إنسانٍ ما

وتفتقدَ إحساسَك الجميلَ تجاهَه

فتأخذُك خطواتُك إلى طرقاتِه

وتزور مكاناً جمعَك يوماً فيه

وتقف فوق أرضٍ كانت مسرحَ اللقاءِ به

فلا تعرفك الطرقاتُ ولا يتذكرُك المكان

فيؤلمك اكتشافُ أن أطلالَك لم تعد أطلالَك .

يحدث أحياناً . . .أن تتمنى لو تملك قدرةَ إعادةِ الزمان

لإعادةِ مرحلةٍ عمريةٍ من مراحلِ حياتِك

كي تلتقي بأناسٍ مارسوا دورَ البطولةِ في عمرِك ذاتَ عمر

وتركوا عمقَ بصماتِهم فوق جدرانِك

وكانوا يمثلون شطراً جميلاً من أحلامِك

ثم غابوا وغابت خلفهم الأحلامُ والأيام

وبقي خلفهم فراغٌ ممل
تتجول فيه كلما شدَّك إليهم الحنين .

يحدث أحياناً
أن تصابَ بالاكتئاب
فتشعر بتفاهةِ الأحداث حولَك
وتزهد بكلّ طقوسِ الحياةِ المحيطةِ بك
وتفقد الأشياءُ قيمتَها وأهميتَها لديك
ويخيّل إليك أن الحياةَ توقفت عن النبض
وتتساوى لديك الأمكنةُ والأوقات
وتبقى وحيداً وتبقى بعيداً
لا شيءَ معك سوى إحساسَك المقيت
وتفشل كلُّ محاولاتِهم لانتزاعِك من وِحدتِك
وقد تبقى في دائرةِ الاكتئابِ فترةً طويلة
وقد تشرق شمسُ الأملِ فجأة
فتشرق معها قابليتُك للحياةِ من جديد .

يحدث أحياناً ..
أن تتجردَ من نفسِك
وتنسلخَ من شخصيتِك
وتمارسَ أدواراً لا تتناسب معك
وتتحدى المشاعرَ في داخلِك بقوةٍ
وتعاملهم بقسوةٍ متعمدة
وتغرسَ سهامَك بكلّ اتجاهاتِهم
وتغلقَ أذنك أمامَ صرخاتِهم
فلا ترى ولا تسمعُ ولا تشعر سوى بنفسِك فقط
كي تثأرَ لكرامتِك التي هُدرَت باسمِ الحب .

يحدث أحياناً ..
أن يأتيَ الليلُ مختلفاً
فتخونك قدرةُ التأقلم
مع ليلٍ يخلو من وجودِهم
لترفعَ سماعةَ الهاتفِ
وتفكرَ بسرقةِ صوتٍ تحتاجُه
أو إرسالِ رسالةٍ قصيرة

تقيس فيها مساحةَ بقائِك بهم
وحجمَ تواجدِك في ذاكرتِهم
لكنْ أمامَك وخلفك وحولَك أشياءُ تمنعك ،
أشياءُ تقف كالسيفِ الحادِّ بينَك وبينهم
أشياءُ إن تجاوزتَها انتهيتَ
أشياءُ تقذف بك بعيداً عن مدنِهم
كي لا تنصاعَ خلف إحساسٍ عابر
وتنفجرَ كالينبوعِ في غيرِ أوانه .

أصدقاءُ البرد

(في حياتنا صداقاتٌ نعيشها كالحلم . . وقد نحتاج لتفسيرِها يوماً بعد الاستيقاظِ منها)

بين فترةٍ وأخرى نحتاج للهروبِ من أسوار زمنٍ أرهق أرواحَنا بحضارته

زمنٌ قيّدنا بالكثير من القيودِ التي تحولت مع الوقتِ إلى ضغوطاتٍ نفسيةٍ مقلقة

زمنٌ أهدانا العالمَ كلّه ومنحنا حياةً اجتماعيةً أُخرى . . ونوعاً آخرَ من الأصدقاءِ ، إنهم أصدقاءُ الإنترنت .

وأصدقاءُ الإنترنت هم أولئك الذين لم يدخلوا بيوتَنا من أبوابِها ولا نوافذِها ولا أسوارِها ،

لكنهم دخلوها من أجهزتِنا الإلكترونية . . .فكلما تمّ اختراعُ وسيلةِ تواصلٍ اجتماعية

كلّما زاد عددُ الأصدقاءِ على شاشاتِ أجهزتِنا ،

وبين كلّ أصدقاء النت نحن لا نجد من يعوضنا عن أصدقاء غادروا الطرقاتِ القديمةَ منذ زمن .

الرفاقُ الذين لم تغطي وجوهَهم الأقنعةُ كما غطتها أتربةُ الطريقِ ، الرفاقُ الذين ساروا معنا حفاةَ الأقدام ،
الرفاقُ الذين شاركونا مكعباتِ الآيس كريم وحباتِ الحلوى وقطعَ الدراهمِ المعدنية ،
الرفاقُ الذين تقاسمنا معهم الكذبَ الأبيضَ والمواقفَ البيضاءَ والخدعَ البيضاء ،
الرفاقُ الذين خُضنا معهم مياهَ الأمطار المتجمعةِ على الأرصفةِ الباردة ،
الرفاقُ الذين طرقنا معهم أبوابَ الجيرانِ في صباحِ العيد ،
الرفاقُ الذين ما زالت صورُهم القديمة تثير بنا الكثيرَ من الحنين ،
وتدخلنا في نوبةٍ من الضحكِ الصادق ،
إنهم رفاقُنا الصغارُ ، الصغارُ الذين كبروا بعيداً عنا كما كبرنا بعيداً عنهم
والمختلفون عن أصدقاءِ التكنولوجيا تماماً .

فأصدقاءَ الإنترنت لا يمسحون دموعَنا
ولا يلعبون في الطرقاتِ القديمةِ معنا
ولا يشاركوننا صنعَ طائراتِنا الورقية
ولا يحملون لنا باقاتِ الوردِ في أفراحِنا
ولا يحيطون عندَ المرضِ بأسرّتنا ولا نتناول أدويتَنا من أياديهم ،

أصدقاءُ الإنترنت لم نلمح وجوهَهم الحقيقية ولا أوراقَهم الحقيقية ولا أسماءَهم الحقيقية ،
أصدقاءُ الإنترنت لم نسهر معهم على كتبِنا المدرسية . . ولم نستعر منهم قلمَ رصاصٍ للكتابةِ على الكلماتِ المنقطة في حصةِ الخط
ولم يسعفونا بعلبةِ ألوانٍ في حصةِ التربيةِ الفنية
ولم يعيرونا أدواتِهم الهندسيةَ في حصةِ الرياضيات ،

أصدقاءُ الإنترنت لم يشاركونا قراءةَ ماجد ولا البحثَ عن فضولي ولا حلَّ المسابقات الأسبوعية
أصدقاءُ الإنترنت لم نتبادل معهم أطباقَ الطعامِ في أيامِ رمضان . . ولا صافحناهم في صباحاتِ الأعياد ،

أصدقاءُ الإنترنت لم نأمنهم على الأسرارِ الأولى ولا الحكاياتِ الأولى ولا الرسائلِ الأولى ،
أصدقاءُ الإنترنت طرقوا أبوابنا في مرحلةٍ كانت الحياةُ فيها بكاملِ حضارتِها وكاملِ زينتِها ،
دخلوا منازلَنا من أجهزتنا النقالةِ والثابتةِ وحاورونا من خلفِ شاشةٍ الكترونية . .
ونادونا بأسمائنا المستعارة وتعرَّفوا على أحزاننا من حروفنا ،

أصدقاءُ الإنترنت شاركونا دهشةَ الاختراعاتِ ومتابعةَ الثوراتِ ومخلفاتِ الحروب
أصدقاءُ الإنترنت دافعوا عنا الكترونياً وأحبونا الكترونياً وناقشونا الكترونياً
وعبّروا عن مشاعرِهم تجاهَنا بتغريداتٍ ولايكاتٍ وبرود (كاست) ،

أصدقاءُ الإنترنت قريبون جداً ورائعون جداً ،
لكنهم معرّضون للاختفاءِ والغيابِ والانقراضِ من حياتنا بمجردِ

انقطاعِ الكهرباءِ أو خدماتِ الاتصالات . . .أو عطلٍ في الإنترنت يعلن أن الحياةَ قد تجردت من صخبِ النتِ وعادت هدوءَها . .

وأن أصدقاءَ التكنولوجيا خرجوا من حياتِنا من أجهزتنا كما دخلوها من أجهزتنا .

سدرةُ البيت

(في كلّ بيتٍ هناك امرأةٌ مسنّة ثابتة في الأرضِ
كسدرةٍ عريقةِ الجذور، إذا ما سقطت السدرةُ
يوماً تفرّقت وضاعت الطيور)

رحلت المرأةُ التي أحبتني كعينيها وأكثر . .
والتي لم يسعفني خجلي أن أخبرَها أني أحبها كعينيَّ وأكثر ،

المرأة التي كانت لي شجرةَ أمانٍ حين كنت طفلةٌ ضعيفةَ الجناحِ والريش .
المرأة التي إن هطلت الأمطارُ سارعت لتغطيةِ رأسي وأوصتني بتجنبِ اللعبِ تحت المطر .
المرأةُ التي إن هاجمَتني الحمى سهرت ليلها تتلو آياتِ اللهِ على رأسي .
المرأة التي قلمت أظافري وهي تسرد عليّ حكايةَ علي بابا والشاطر حسن و(بديع بديحوه) .

المرأة التي مشطت شعري وهي تغني لي (قاعدة على الشط قاعدة أمشط) .

المرأةُ التي علمتني ألا إله إلا الله وأن أركانَ الإسلام خمسةٌ وفروضَ الصلاةِ خمسة .

المرأة التي رافقتني في وضوءِ الفجر كي لا يسرقني النومُ من فرضي .

المرأة التي غرست بي حبَّ الوطنِ وحبَّ زايد وسردت عليّ من حكاياتِ الوطنِ ما سردت .

المرأة التي ما زالت رائحةُ حقيبةِ سفرِها وهي عائدةٌ من بيتِ اللهِ الحرام تملأ أنفي .

المرأةُ التي كان للدرهم من يديها فرحةُ طفولةٍ لا توازيها فرحة .

المرأة التي كانت رائحةُ بخورِ ملابسِها تعادل لديّ رائحةَ وطن .

فكم أتمنى أن يسقط المطرُ هذا المساءُ بغزارة

فأنا أريد اللعبَ في حديقةِ المنزلِ بالماءِ والرمل

وأن أقذفَ رفيقةَ طفولتي بكراتِ الطين

وأن يملأ صوت جدتي أرجاءَ المكان

تناديني ألا ألهو في الماءِ في عِز البردِ
كيف؟ وغزارةُ المطرِ أصبحت مرعبةً تأتي أحياناً بَملك الموت
وأرضيةُ البيتِ لم تعد من تراب . .
ورفيقةُ طفولتي كبرت على كراتِ الطينِ منذ زمن
وجدتي ماتت .

ماتت جدّتي يا مطر
فاسقُط وبلّل ملابسي
واهدني حُمى الشتاءِ كما تشاء ،
فجدتي يا مطرُ ماتت
جدتي ماتت
كما تموت أطهرُ الأشياء . .

أنواعُ الكُتَّاب

(كُتَّابٌ يصنعهم موقف .. وكُتَّابٌ يصنعون الموقف)

الكُتَّابُ أنواعٌ ككلِّ الأشياءِ الأُخرى في عالمِنا
ولِكُلِّ كاتبٍ مذاقٌ مختلف يميّز حرفَه عن سواه من الكُتَّابِ الآخرين
وليس بالضرورةِ أن يكون المذاقُ رائعاً
كما أنه ليس ضرورياً أن يكون التميّزُ جميلاً
فهناك من يتميّز بالقبيح
وهناك من يتميّز بالسيئ .

وهناك كُتَّابٌ يكتبون بأقلامِهم
ولا يجيدون سوى الكتابة بالحبر
ولا تعنيهم هويةُ ما يكتبون أو الهدفُ مما يسطرون
ولا يشغلهم أمرُ الإحساسِ كثيراً

فالكتابةُ لديهم طريقةٌ من طرقِ التعايش
أو البحثِ عن الشهرةِ أو سعياً وراءَ لقمةِ العيشِ المرّة .

وهناك كُتّابٌ يكتبون بقلوبهم وتملأُ العاطفةُ حروفهم
ويسيطر الإحساسُ الداخلي على الكلمات
فتكون كتاباتُهم مرآةً فاضحةً لأعماقِهم
وهؤلاء يصعب عليهم التوّقفُ عن الكتابة
أو تحويلها إلى النّمطِ الواقعيِّ الجاف
لأن الكتابةَ بالنسبةِ إليهم إحساسٌ مقيمٌ في أعماقِهم
تعبّر عن أقلامهم فوق الورق
وهؤلاء يمتازون بصدق التعبيرِ عند الكتابة .

وكُتّابٌ يكتبون بأحلامِهم
منهكون من محاولة التأقلم مع واقع مؤلم
ويجسدون أمانيهم فوق الورق
ويشيّدون مدنَهم الجميلة بعبارات رومانسية
ويتحدّثون بصوتِ الأحلام ويتمنون بصوت مرتفع
وينادون ببناء مدينةِ أفلاطون الفاضلة

وهؤلاء يمتازون بخصوبةِ أراضي الخيالِ لديهم .

وكُتّابٌ يكتبون بأحزانهم

يعبّرون بصوت المأساة

وينزفون الكلماتِ من معاناتهم

وطعمُ الحرفِ في كتاباتهم مُرٌّ

ولونُ الكلمةِ في مقالاتهم أسودُ ولا يكتبون من فراغ

ولا يجدون متعةً في الكتابةِ عن الفرح

وهؤلاء لهم تأثيرٌ عظيم في القُرّاء

لأنهم غالباً ما يلامسون منطقةً مؤلمة في داخل القارئ .

وكُتّابٌ يكتبون بأمراضهم

يسكبون أحقادَهم على الورق

ويتخذون من القلمِ سلاحاً قذراً لقتال خصومهم

ولا يتوانون عن ارتكاب أبشعِ جرائمِ الكتابة

من القذفِ والافتراءِ والتشهير بالآخرين

ويشعرون براحةٍ تامة عند الإساءةِ لأحدٍ ما

وهؤلاء يمتلؤون بالغرورِ حدَّ المرض

وغالباً ما يُفتضَح أمرُهم مع الأيام .

وكُتّابٌ يكتبون بضمائرهم
الحرفُ لديهم أمانةٌ والكلمةُ رسالة ،
يتحرّون الحقَّ والحقيقةَ في موضوعاتِهم
ويترددون كثيراً قبل أن تخوضَ أقلامُهم في موضوعٍ ما
ويتراجعون بكلِّ شجاعةٍ إذا اكتشفوا خطأهم في حقِّ إنسانٍ ما
وهؤلاء أصحابُ مبدأ راقٍ وقضيةٍ صادقة .

وكُتّابٌ يكتبون غيرَهم
لديهم قدرةٌ على التغلغلِ في أعماقِ الآخرين ويشعرون بأحزانهم
ويحملون همومَهم كالأمانة
ويعبّرون عن إحساسِهم ببراعةٍ تامة
ويحاولون إيجادَ حلولٍ مناسبةٍ لمشكلاتِهم .

وكُتّابٌ يكتبون لغيرهم
يعرضون أقلامَهم للبيع
ويبيعون ضمائرَهم قبل أقلامِهم
ويمارسون جريمتَهم في سرّيةٍ تامة

ويتنازلون عما لا يجب التنازلُ عنه
يبيعون الحرفَ والكلمةَ والسطر والحلم والإحساس
ويكسبون أشياءَ كثيرةٍ ويخسرون أنفسَهم .

وكُتّابٌ يبدؤون بقوةِ الشمسِ وروعتِها
تفرض أقلامُهم أنفسَها بجدارة
ويستمرون في القوة والعطاء
ويحرصون على البقاء في القمة
وحين يرحلون يختارون رحيلَ العمالقة
فيغيبون وتبقى حروفُهم خلفهم حيّةً تُحيي بعد الموتِ ذكراهُم .

وكُتّابٌ يبدؤون بقوة الرعد
تملأ أصواتُهم الأرض
ويصعدون إلى القمةِ بجدارة
ومع الوقتِ تبدأ شمسُهم في الغياب
ويبدأ نورُهم في الخُفوت
وتبدأ القمةُ في الانحناءِ والهبوط
ولا يبقى منهم سوى بدايتِهم القوية

التي تشفع لهم أمامَ نهايةٍ صغيرة
لا تتناسبُ مع حجمِ أسمائهم الكبيرة
وهؤلاء يموتون وهم لا يزالون على قيدِ الحياة .

وكُتّابٌ يكتبون بصمت
يكرهون الشهرةَ والظهور
ويمارسون الكتابةَ كما يمارسون التَنفس
ولا يستطيعون التوقفَ عنها تجنباً للاختناق
ويحتفظون بترفهم لأنفسهم
ويكرهون إقحامَ الآخرين بين سطورِهم
لأن الكتابةَ لديهم عالَمٌ خاص
لا يقتربُ منه إلا أولئك الذين يحملون تأشيرةَ حبٍ أو صداقةٍ
أو علاقةٍ قوية .

نَزوة

(بعضُ الفقدِ يدفعنا إلى النزوةِ دفعاً)

النزوةُ هي تلك السكرةُ
التي قالوا إنها حين تذهب
تليها فكرةٌ لا ترحم .

ونادراً ما تبدأ النزوةُ في المراحلِ الأولى من العمر
ربما لأنها ليست سوى وجبة إضافية
لإنسانٍ يمتلك وجبته الأساسية
فمعظمُ النزواتِ التي تتفجرُ في حياتنا
تظهر في حياتنا لإكمالِ نقصٍ ما أو لسدِّ جوعٍ ما
وتفشلُ في سدّه وجباتُنا الرئيسية .

والنزوةُ كفتاة ليلٍ تعلك علكةً ضخمة
وتقف تحت عامودِ ليل أو مرحلةٍ من العمر

بانتظارِ إنسانٍ يتعطش للتجربةِ أو التغيير
فيرتوي ويغيّر ويغادرها متضخماً بالإثمِ والندم .

والنزوةُ التي تبدأ في الظلامِ وتنتهي في الظلام
تتحول مع الوقتِ إلى ذكرى مغلفةٍ بالندم
لكن النزوةَ التي تبدأ في الظلامِ وتنتهي في النور
تتحول مع الوقتِ إلى شَرخٍ ،
شَرخٍ قد تزيد الذكرى من مساحته واتساعه .

والفرقُ بين حكايةِ حبٍ ونزوةِ حبٍ
أن الأولى قد تدنّسها نزوة
بينما الثانيةُ قد تطهّرها حكاية .

فالنزوةُ كالمطبّ
تفاجئنا في منتصفِ طريقِ العمرِ أو منتصفِ طريقِ الحكاية .
أو منتصفِ طريقِ الحلم . وتزداد خسائرُها وخطورتُها بازديادِ قوةِ
اصطدامِنا بهذا المَطبّ المفاجئ .

وبعض النزواتِ كومضةِ البرق . . تبدأ سريعاً وتنتهي سريعاً
لكن قد يليها من الأمطارِ والرعودِ ما يزلزلُ من استقرارِنا وأمنِنا
الكثير .

وللنزوةِ أقنعةٌ ووجوهٌ عدة
فبعضُ النزواتِ مخادعة
تبدأ بقوةٍ حقيقة حتى يخيّل إلينا أنها مرحلةٌ هامةٌ من مراحلِ
العمر
ونستهلكُ الكثيرَ من الوقتِ والصحةِ والنقاشِ والصوتِ للدفاعِ
عنها كقضيةِ عمر .

ونزوةٌ خبيثةٌ . .
تجيد أدوارَ السعادة
فتسبغ علينا من أثوابِ السعادةِ
ما يصعب علينا التعرّي منه بسهولة
فنبقى تحت غطائِها فترةً أطولَ مما يجب .

ونزوةٌ مجرمةٌ

تتسرب إلينا عامدةً متعمدة

كصيادٍ ماهرٍ في ماءٍ عكر

وتنغرس بنا كجرحٍ طويلِ الأمد

ولا تغادرنا إلا بعد أن تطمئنَ إلى أن خسائرَها بنا لا ترمّم .

ونزوةٌ قاسيةٌ ،

تعترض طريقَ قافلتنا

وتجرّدنا من أمتعتِنا وقيَمِنا ومبادئِنا وأحلامِنا السابقة

وتتخلى عنا حين لا يبقى لنا سواها .

ونَزوةٌ صديقةٌ ،

تسترنا ونسترُها

تبدأ في الظلامِ وتنتهي في الظلام

وهذه غالباً ما نحتفظ بها في الجانبِ الأخضرِ من الذاكرة .

ونزوةٌ منتقمةٌ

تنسف عند اكتشافِها أركان حكايةٍ أو علاقةٍ حقيقية

فنخسر العلاقةَ والحكايةَ وأبطالَها وتفاصيلاً من العمر والعشرة
ولا طاقةَ لنا على خسرانِها .
ونزوةٌ آثمةٌ تبدأ بإثمٍ وتنتهي بخطيئة
وتترك بصمتَها على جبينِ العمر
فتسرد البصمةُ حكايةَ ضعفِنا لكلِّ من يمرّ من الأجيال بنا
وهذا النوعُ من النزواتِ لا يُنسى ولا يموت سريعاً .

ونزوةٌ بشعةٌ تسلبنا من أنفسِنا الكثير
وتدخلنا في غيبوبةٍ من الوهم
لا نستيقظ منها إلا استيقاظَ الموتى
فتصاحبنا بعدَها حالةٌ من الذهولِ تبقى طويلاً وعميقاً .

ونزوةٌ كالصفعة نحتاج إلى الكثيرِ من الألمِ والمحاولاتِ
حتى نتمكنَ من مسحِ آثارِ ذُلّها من وجوهِنا
والبدءِ بوجوهٍ لم تتذوق طعمَ صفعتِها .

لكن ،
ومهما تعددَت أنواعُ النزوات

أو اختلفت بشاعةُ نهاياتِها
إلا أن كلَّ بداياتِها ممتعة
فعالمُ النزوةِ دائماً ورديُّ اللون
مُسكرٌ كالخمرِ ، دافئٌ كالحلم .
فإنْ قررتُم يوماً مغادرةَ نزواتِكم
فلا تغسلوا قبل الرحيلِ وجوهَها
حتى لا يتضحَ لكم قبحُها الحقيقيّ ،
لأن النزوةَ أحياناً تتحول إلى مرآةٍ تعكسُ لمرتكبِها
تفاصيلَ يَودّ قذفَها في محرقةِ الأيامِ والنسيان .

بـروتس
(المؤلمُ في خنجرِ بروتـس أنه لا يطعن الجسد)

في حياةِ أغلبنا هناك بروتس ،
ذلك الشخصُ الذي لا نتوقع منه الخذلانَ لكنه يحدث
فبروتسَ تلك الروحُ التي نمنحها من الثقة الكثيرَ ونتحصّن بها
من غدرِ الزمان
ونحتفظ بها كالرصيدِ في خزائنِ أعمارِنا .

فقد يكون بروتـس قريباً يربطنا به وريدُ دم
أو صديقٌ بيننا وبينه تفاصيلُ عِشرةٍ وثقةٍ ولقمة
أو حبيبٌ ظننّا لشدةِ التصاقنا به أنه نصفٌ لن يغدرَ يوماً بنصفه
الآخَر .

لكننا وفي لحظةٍ ما قد نشهد انضمامَ بروتـس إلى قافلةِ
الآخرين

يمسك في يده ما يمسكون من خناجرَ ويرتدي ما يرتدون من أقنعة ،
عندها لا تؤلمنا الطعنةُ بمقدارِ ما يؤلمنا الاكتشاف ،
لأن في الكثيرِ من مواقفِ الغدرِ نحن لا نتحسّس مواضعَ الألم
بل نتحسسُ حجمَ الدهشةِ التي يخلّفُها بنا سقوطُ قناعٍ ما عن
وجهٍ نحبه
فنرددُ عبارةً تصحبها ابتسامةُ ألمٍ ساخرةٍ دون نطقٍ مسموع :
(حتى أنت يا بروتس!؟) .

نعم ، حتى بروتس
ففي زمنٍ مخيفٍ كهذا الزمنِ الذي قُدّر لنا أن يكون زمانَنا وأن
نكون أهلَه
لا بدّ ألا نستبعدَ وجودَ بروتس في حياتنا
كي لا نصابَ بصدمةِ الاكتشافِ عند الظهور ،
فبروتس قد يظهر لنا في كل موقف ،
في الصداقةِ في الحبِ في العمل في التجارةِ في الحياة ،
وعند انتهاءِ صداقةٍ ما في حياتنا يجب أن نتوقعَ ظهورَ بروتس
بخنجرِه ،
وعند صدمةِ حبٍ ما يجب أن نتوقعَ ظهورَ بروتس بخنجرِه ،

وعند انطفاءِ الأنوارِ من حولنا يجب أن نتوقعَ ظهورَ بروتس بخنجرِه

وعند سقوطِ أهلِ المال يجب أن نتوقعَ ظهورَ أكثر من بروتس بخنجرِه ،

فبروتس ما عاد حالةً استثنائية .

قد تختلف المواقفُ

وتختلف الطرقُ

وتتفاوت حدّةُ الدهشةِ وحدّةُ صدمةِ الاكتشاف

لكن آثارَ الخرابِ في العمق تكون واحدةً ،

فكم من المفاهيمِ تهتزّ بنا

وكم من الثوابتِ تتزلزل بنا

وكم من الأعمدةِ تتكسرُ بنا

وكم من الأسقفِ تنهارُ علينا

عند اكتشافِ وجودِ بروتس في حياتنا .

فبروتس المال يشعرُنا أننا في زمنِ المصالحِ وأن المصلحةَ فوق كلّ شيء ،

وبروتس الصداقة يفقدنا الكثير من الثقة في الآخرين ويدفعنا
إلى حالة حذرٍ شديدٍ وانطواء ،
وبروتس الحب يهزّ ثقتنا بوجودِ حبٍ حقيقيٍ في عالمٍ تغيرت
فيه ملامحُ الحبِ كثيراً .

لهذا لا تتخبّطوا عند السقوطِ ولا تتلفّتوا عند سقوطِكم كثيراً
كي لا تلمحوا بروتس في زحامِهم ،
وكي لا تمدّوا أياديكم للأقربِ طلباً لطوقِ النجاة ،
وكي لا تكتشفوا أن سقوطَكم
كان من فكرةِ وتأليفِ وسيناريو وإخراجِ وإنتاجِ الأقرب .

ومع الوقت قد نتعود على ترديد (حتى أنت يا بروتس)
وقد يُصيبنا منها الغاء التعود . .
وتبدأ مرارتُها مع الوقتِ تقلُ في أعماقنا!
لأن تكرارَ المواقفِ وتكرارَ ظهورِ بروتس أمامنا
حوّلها إلى لعبةِ اكتشافٍ مسليةٍ ومريرة

فهل شعر بروتس بقوةِ مرارتِها؟
هل أصابت فيه أشياءَ في المَقتَل؟
أم أن العبارةَ قد مرّت بروتس مرورَ الكرام؟
تماما كما تمرّ الكثيرُ من المواقفِ والعباراتِ على الجاني مرورَ الكرام
فالقاتلُ آخر من يتسعُ وقتُه للإنصاتِ لصوتِ الضحية
والقاتلُ آخر من يسمع صوتَ الضحية
والقاتلُ آخر من يمنح حقَّ الكلمةِ الأخيرةِ للضحيّة .

حتى التاريخ لا ينصفُ الضحايا كثيراً
فهو يسجل اسم الجاني وتتناقله الأجيالُ
كصكّ خلودٍ دنيوي ،
بينما لا يتوقف التاريخُ كثيراً عند ذكرِ اسمِ الضحية ،
فكم من وفيّ مات ولم يذكرْه التاريخ
وكم من خائنٍ كُتبت له في التاريخ بعد مماتِه حياةٌ أُخرى ،
إذاً لماذا يكون التاريخُ أحياناً أشدُّ وفاءً للخائن منه للمخلص؟

وَثقوا!

قد يظهر بروتس أمامكم يوماً

فلا تمنحوا لظهورِه أهميةً تدفعكم لنزفِ الكثيرِ من الصحة

وتعاملوا مع ظهورِه على أنه حالةُ اكتشافٍ مبكرٍ

لمرضٍ آنَ الأوانُ للتخلص منه وبترِه منكم

وتخلصوا ممن لا يستحق البقاءَ بكم

واتركوا بينكم وبين الأقربِ مساحةً تقيكم بردَ الاكتشافِ

ودهشتِه .

مدينتك الفاضلة

(اصنع مدينتك الفاضلة . . فربما حالف أمنيتك
الحظ الذي لم يحالف أمنية أفلاطون)

مدينة أفلاطون الفاضلة التي حلم بها يوما . . .ورحل
شيدها أنت في محطيك
انتقِ شعبها من أوفياء الأرض . .
فالعالم الملوث مازال يحتفظ بأصحاب القلوب البيضاء
أولئك الذين خذلتهم مدن البرد كما خذلتك
أولئك الكارهون للحروب والدماء والإرهاب
أولئك الذين هزهم دمار الأرض وإحراق كوكبهم الجميل
إنهم غرباء الزمن مثلك . . لا يُشبههم هذا الزمن
ولا يمتّون له بِصِلة

هؤلاء هم حاجتك
ابحث عنهم حولك . . واعقد معهم علاقات خضراء

رم بهم انكسارك الداخلي . . وجدّد معهم مفهوم الصداقة في حياتك

واستقبلهم في مدينتك الفاضلة بباقات ورد

علّمهم وتعلّم منهم الحب

واطرد من مدينتك أصحاب القلوب السوداء

الذين فرضتهم ظروف واقعك عليك

أولئك الذين قاسمتهم رغماً عنك علاقة اجتماعية . . أو جدران وظيفة مملة

أو صداقة هَشّة . . أو حكاية حب فاشلة .

أولئك الذين دفعت ثمن وجودهم بقربك من صحتك ونفسيتك

واستهلكوا الكثير من عمرك في سبيل تقويم اعوجاجهم

أولئك الذين سمّموا أيامك الجميلة دون ذنب ارتكبته

سوى أنك أحسنت الظن بهم يوما . . وأمنتهم ظهرك مطمئناً لهم

أولئك الذين احتفظت بهم رغم كل دمارهم بك

ومنيت نفسك أن الأيام قد تغيرهم وأن الوقت قد يعيدهم إلى الصواب

وطال انتظارك لقطف ثمار الأمنية البيضاء

لكن أمنيتك بقيت مجرد أمنية

فالذي غدر بك قد يُكرّر غدرك

والذي خذلك قد يُكرر خذلانك

والذي خانك قد يكرر خيانتك

والذي طعنك قد يُكرّر طعنتك

فمن الصعب على من استرخصك ذات موقف . . أن يرفع مكانتك لديه

ومن المستحيل أنّ من باعك ذات مساومة أن يعود ليشتريك

ومن النادر أن من ضيّعك على دروب الحياة متعمداً

أن يعود للبحث عنك

لذا ، لا تحتفظ بأعدائك في محيطك وأنت تعلم انهم أعداؤك

ولا تبتسم لمن تدرك أنه حين يخلو بسواك يتلذذ بتشويهك

ولا تصافح من تدرك مدى كمية القذارة في كفه الممدودة إليك

ولا تثق بدورانهم حولك كثيراً

فالبعض يمارس معك خديعة سراب الطريق

يزين لك الأشياء البعيدة وهو يدرك في قرارة نفسه أنك

ستخسر الكثير من أجلها ولن تصلها يوماً

فلا تخسر أنفاسك في الجري خلف سراب طريق وأنت تعلم

أنك لن ترتوي منه أبداً

ولا تقضِ عمرك في الجلوس أمام محرقة كبرى أشعلوها في

حياتك ومضوا لاستكمال حياتهم

فإن كنت ضحيتهم في فترة ما ..

فلاتكن ضحية نفسك في المتبقّي من فتراتك

فالذين علموك البكاء لا يهمهم أمر عينيك

والذين علموك الحزن لا يهمهم أمر قلبك

والذين علموك السوء لا يهمهم أمر أخلاقك

والذين عموك الشر لا يهمهم أمر ضياعك

والذين علموك التلوث لا يهمهم أمر طهارتك

والذين علموك الشك لا يهمهم أمر احتراقك

والذين زرعوا الهَم فيك ، لا يهمهم أمر صحتك

والذين زرعوا فيك القلق لا يهمهم أمر استقرارك

فأطلق سراحهم من دائرة اهتمامك

وتخلّص من ضغوطاتهم النفسية عليك

ولا تُضيع سنواتك في انتظار لحظة تطهّرهم وتغيّرهم

فالعمر لقد لا ينتظرك حتى تنتهي من تقويمهم

فهناك أشياء في هذا العمر تمرّ كومضة نور خاطف

ولا تتكرر أبداً

فاكسَب وقتك المتبقي

تلفّت حولك

اجمع الأنقياء

وخذ قرار بناء مدينتك الفاضلة . . وابدأ بها

وعش ما تبقى لك من عمر بين مجموعة من الأنقياء .

سالم

(كالحلمِ يا عمّي كالحُلم)

أيُّ رعبٍ أورثني إياه فقدُك يا عمي
فأصبحت أتفقدُ أنفاسَ كلِّ عزيزٍ نائم
خشيةَ أن يكون قد غادرَ بصمت؟
وأيُّ عقدةٍ مقلقةٍ أورثني إياها رحيلُك المفاجئ يا عمي
فأصبحت رنةُ الهاتفِ تقلقني
وصوتُ المسجِ يقلقني
وتجمهُرُ الناسِ على شيءٍ ما يقلقني
وأصبحت أترقب أنباءَ الفقدِ مع كل التفاتةٍ بحثٍ حولي؟

فما زلت أغمض عينيَّ بقوة
وأعاود فتحَهما وأكرّرُ وأكرر
لعلي أجد نفسي فوق سريري
فهذا الرعبُ لم يمرّني من قبل

وهذا الحزنُ لم يستوطن من قبلُ روحي
فبرغم ترقّبي للخبر القدَر في كل لحظة
لكن وقوعه شيءٌ آخر ،
شيءٌ آخر يشبه اليُتم كثيراً
وحالةُ ذهولٍ أكبرُ من البكاء .

شُلَّت يميني يا عمي شُلَّت يميني
وكأن سكينَ الخبر قطعَت يميني قبلَ أن تستقرَّ بقلبي ،
يميني التي ما شعرتُ ببترِها حتى وأخي يلوحُ لي مودعاً
ربما لأني كنت يومَها أصغر ، وكان قلبي أقوى على الحزن وأصبر ،

فبعضُ الأحزانِ يا عمي مُرّة كمضغِ نباتِ حنظلٍ قديم يترك بنا مرارةً وجرحاً
وليت رحيلَك حالةُ بكاءٍ أمارسها أمامَ المرآةِ ككلِّ أحزاني التي مارستها أمامَ المرآة
فأبكي وأنا أتابع في المرآةِ تفاصيلَ وجهي ،
لكن أحزانيَ الخاصة بك لا تسرَد أمام المرآة

فليس كلُّ الأحزانِ للمرآةِ طاقةٌ على امتصاصِها

فبعضُ الحزنِ تمتصُّه ، وبعضُه يمتصُّنا

تماماً كهذا الحزنِ يا عمي .

نبأ لجرأةِ الحزن

فمدينةٌ كاملةٌ من الفرح

قد يحرقها نبأٌ حزينٌ في لحظات

كما هي المعيريضُ ليلةَ وداعِك

...

المُعيريضُ التي توشّحت السوادَ كامرأةٍ ثكلى

المعيريض التي ما زالت آثارُ قدميكَ على ترابها

المعيريض التي ما زالت تخبئُ في زواياها عطرَك

المعيريض التي تحتك جدرانُها تمضي في ظلمةِ الفجرِ ملبياً نداءَ الصلاة

المعيريض التي تشهد مساجدُها أنك كنت بإذنِ اللهِ من الصالحين ،

فكقطعةٍ من الضوءِ تغادر الدنيا يا عمّي

وكقطعةٍ من ظلام تبقى هي خلفَك ،

فبعضُ الأحبةِ حين يغادرون كأنهم يكسرون كلّ مصابيح
الإنارة من على الطرقاتِ المضاءة
فيخيم خلفهم ظلامٌ مرعب لا نبصر به سوى تفاصيلهم
وبقاياهم ومساحة فراغهم الموحشِ خلفهم . وكأنهم عند المغادرةِ
يغلقون في الحياةِ شيئاً ويرحلون .

وها أنت تغادر ،
كيف تغادر؟
كيف تغادر يا عمّي؟
وأمنيتي بزيارةِ بيت الله الحرام بصحبتك ما زالت تتجول في
قلبي كحمامةٍ بيضاء
كطفلةٍ ذات رداءٍ أخضر
كأمنيةٍ مغلفةٍ بالنور

لكنك رغماً عن الأمنياتِ الخضراء تغادر
تغادر ككلّ أحبّتي الذين غادروا بلا مشهدٍ أخير
وبلا حوارٍ أخير وبلا توصيةٍ أخيرة ،
إنهم يغادرون قبل أن نقولَ لهم : شكراً

قبل أن نقبّلَ جباهَهم بحبٍ وامتنان
قبل أن نتركَ على أبوابِهم باقةَ وردٍ أبيض
قبل أن نخبرَهم كم نحبُهم
وكم دثّرنا وجودُهم بالأمان
وكم كان الزمانُ بصحبتِهم جميلاً ،
كشعاعٍ من ضوء يمرّ عمري ويمضي
ككل الأرواحِ التي منحَتني النور
وعلّقت القمرَ على طريقي المظلم ومضَت
تاركةً بي من فراغِها الكثير
الكثيرَ الذي لا يُملأ يا عمي
والأثرُ الذي لا يُمسح
ولا يتلاشى ولا يزول مهما اغتسَلنا
فالماءُ يغسلنا من الخارجِ فقط يا عمي
لهذا تبقى أحزانُنا بعد الاستحمام كما هي .

سأضيفك يا عمي إلى أحزاني التي لم تُكتب
أحزاني التي تضخمَت في داخلي كجنينٍ ميت
وعجزتْ برغم السنواتِ عن ولادتِه

أحزاني التي اقتربَت مني حتى التصقَت بي
أحزاني التي التصقَت بي حتى أصبحَت أنا ،

سأضيفُك يا عمي إلى قائمةِ أحبتي
أحبتي الذين رحلوا بلا رحيل
وماتوا بلا موت
وفارقوا بلا فراق
أحبّتي الذين تركوا كلَّ الأشياءِ خلفهم نابضةً كأنها جسدٌ حيّ

سأضيفك إلى يوسُف وعبدِ الرحمن وندى ومريم
سأضيفك يا عمي إلى قائمةِ أمنياتي المرسلةِ إلى السماوات
أمنياتي التي أغلفُها باليقينِ والإيمان فوق سجادةِ صلاتي
وأردِدُها تحت المطر وبين الإقامةِ والصلاة
أمنياتي التي استهلكتْ الجزءَ الأكبرَ من عمري في ترقّبِها
أمنياتي التي لونتُها وزخرفتُها وزينتُها كعروس
ومضى أكثرُ العمر ولم تزَفَّ إلى فارسِها
سأضيفك يا عمي إلى قائمةِ جروحي
جروحي التي تفوح منها رائحةُ أحبّتي

كحديقةٍ مزروعةٍ بنباتاتٍ من ذكرى
والتي كلّما تفقدتُها وجدتُها رطبةً نازفة وبها من ملامحِهم
الكثير ،

سأضيفك يا عمي إلى مواقفِ الانكسار في عمري
المواقفُ التي أعقبَتها انحناءةً في الظهر
المواقفُ التي أخذَت معها الكثيرَ ومضت بالكثير ،
سأضيفك يا عمي إلى لحظاتِ الرعب في حياتي
اللحظاتُ التي زرعَت بي عقدةَ الفراقِ والفقد
اللحظات التي ما زال نحيبُها يملأ أذنيَ
اللحظاتُ التي بقي صوتُها يتردّد في داخلي
مع كل لحظةِ رعبٍ مشابهة للرعبِ الأول ،

سأضيفكِ يا عمّي إلى كسوري وانكساراتي
وصدماتِ عمرٍ سلبتني أجنحتي
وسرقَت حلمَ الطيرانِ من تحت وسادتي
وسرقت حكاياتَ جدتي الآمنة من قلبي ،

سأضيفك يا عمّي إلى قائمةِ أحزاني التي أعيتني
أحزاني التي كبرت ولم تصغر
أحزاني التي قالوا أنها مسألةُ وقت
وأنها مع الوقت ستفقد لونَها وتبهت ،

سأضيفك يا عمي إلى لحظات الندمِ التي حاصرتني بعد
الأوان
حيث لا ترميمَ ولا تراجع
فأنا نادمةٌ يا عمي
نادمةٌ على كل ليلةٍ انقضَت
ولم أتجه بها نحوَك طارقةً بابَك
على كلِّ رمضان لم أقاسمك به فرحةَ الإفطار
على كلِّ عيدٍ لم أقبِّل به رأسَك
فتباً للحياة يا عمي ، تباً لمشاغلِها ولظروفِها
تباً للمسافات يا عمي ،
المسافاتُ التي قرّبتنا في الجزءِ الأخير من حكايتِنا وحياتِنا
قرّبتنا المسافاتُ يا عمي وفرّقنا الموتُ ،

الموتُ الذي يجردُنا من كلّ شيء إلا أعمالَنا
فإذا كان الأمواتُ لا يأخذون معهم سوى أعمالهم
إذاً أين يختفي الفرحُ والأمانُ
والشعورُ بطعمِ الأشياءِ والحياة بعد رحيلهم؟ .

هنا . . كان (الذين أحببناهم ولم) يشعروا بنا!

أو ربما شعروا بعد مغادرتنا . . وعودتنا إلى طاولات الحنين والبرد والمطر،

فها نحن ذا يا نزار نعود إلى طاولاتنا لا شيء معنا منهم

ولا حتى . . . . كلمات!

ولا حتى كلمات!



ها قد عدت للطرقات القديمة

كما حدثني قلبي يوما

عدت كأميرة مهزومة

أجز في أقدامي الكثير من خيبات الوقت

ومن خيبات زمن لا يشبهني

وخيبات أحلام ذبلت بعد اخضرار !

ها قد عدت كما تشهى قلبي دوماً

أبحث عن نقنقة دجاج جارتنا المسنة

بعيداً عن نباح كلب جارنا الجديد !

أبحث عن دفء أحاديث الجارات

في طرقات الحارات

بعيداً عن ثرثرة السياسة في صفحات

التواصل الاجتماعي

تلك الصفحات الباردة كالمدن الكبرى !

كالغرف مكشوفة السقف

كالطرقات المرعبة مساء

كالحكايات المخيفة قبل النوم !